

الموضوع

الأخلاق في الفلسفة الوضعية، إيميل دور كايم أنموذجا

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إشراف الأستاذ

إعداد الطالبة:

- الدكتور خوني ضيف الله

✓ دراي بريكة

تاريخ المناقشة: 2018/06/24

لجنة المناقشة:

رئيسا

جامعة المسيلة

- د. زروخي الدراجي

مناقشا

جامعة المسيلة

- د. لصقع الربيع

مشرفا

جامعة المسيلة

- د. خوني ضيف الله

السنة الجامعية : 2017 - 2018



مقدمة

مقدمة:

تعرف الأخلاق على أنها جملة القواعد والمبادئ التي تضبط سلوك الإنسان في المجتمع، والأخلاق هي الدعامة الأساسية التي تقوم عليها حياة الفرد والمجتمع، ولها أهمية عظيمة بالنسبة للإنسان لأن التحلي بالمبادئ السليمة يؤدي بالإنسان إلى السعادة النفسية، واستقرار روحه، وبالتالي يكون المجتمع سليما ومنضبطا وبعيدا عن الانحلال الخلقي والفوضى كذلك، هذا يؤكد أهمية الأخلاق الكبيرة وضرورتها لأي مجتمع، وكذلك لحياة الإنسان بعد ذاته.

ولطالما كان موضوع الأخلاق مركز اهتمام الفلاسفة منذ العصور القديمة من الحضارات الشرقية القديمة، واليونان إلى غاية العصور الحديثة والمعاصرة ولا تزال تشكل نقطة بحث وتفلسف، لذا قد وضعت تعريفات كثيرة ومتعددة ومختلفة للأخلاق منذ القديم، كما أنها ارتبطت بمصادر مختلفة فمن الفلاسفة ما يربطها بالضمير وآخرون ربطوها بالعقل والبعض الآخر ربطها بالدين، أما وجهة النظر الأكثر اختلافا هي تلك التي ربطت الأخلاق بالعلم الوضعي، وذلك عند الفلسفة الوضعية التي قالت بأن التفكير الإنساني يجب أن يكون تفكيرا وضعيا.

وبعدما كانت الأخلاق في صورتها التقليدية تتجه إلى الإطلاق، كما كانت ذات صبغة لاهوتية ميتافيزيقية، تتطلع إلى ما يجب أن يكون، متجاوزة في ذلك الزمان والمكان، وهذا ما ثارت عليه الفلسفة الوضعية، وكان من أبرز أسباب حدوثها لأنها اهتمت بما هو كائن فحسب، وأرادت أن تربط مهمة الأخلاق على دراسة العادات والتقاليد والأعراف الجماعية داخل المجتمع، أي تحويل مجال الأخلاق مما يجب أن يكون إلى ما هو كائن.

ومن خلال هذا يمكننا أن نطرح الإشكالية التالية: بالاستناد إلى ما تدعو إليه الفلسفة الوضعية، كيف يمكن للمجتمع أن يكون مصدرا للقيمة الخلقية؟ والى أي مدى يمكن تصور الأخلاق على أنها وقائع اجتماعية؟

ولمحاولة الإجابة عن الإشكالية المطروحة خصصت لذلك فصلين: اشتمل الفصل الأول على الأخلاق عند الفلسفة الوضعية بصفة عامة مع عرض أبرز أقطابها "أوجست كونت، ليفي برون". أما الفصل الثاني فكان حول أنموذج "دوركايم" وعرض مذهبه حول الأخلاق، وأبرز الانتقادات التي وجهت إليه.

ولقد اعتمدت في دراستي هذه على المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي التحليلي من خلال عرض أهم أفكار فلاسفة المدرسة الوضعية وأفكار "إميل دوركايم" وتحليلها.

ولقد كان وراء اختياري لهذا الموضوع: الأخلاق عند الفلسفة الوضعية وأنموذج "دوركايم" مجموعة من الدوافع أهمها: رغبتني للتعرف على الأخلاق الاجتماعية، ومعرفة أهم الفلاسفة الذين نادوا بها، ومعرفة آرائهم فيما يخص الأخلاق.

أما الأسباب الموضوعية فهي محاولة التعمق أكثر في مذهب "إميل دوركايم" الأخلاقي باعتباره قد نادى بالأخلاق الاجتماعية أو المجتمعية وهذا ما أحدث تحولا في مسار الفلسفة الخلقية ككل، ويعتبر نقطة دراسة في عصرنا الحالي.

أما عن أهداف الدراسة فتتمثل في:

- التعرف على الفكر الفلسفي الوضعي بصفة عامة باعتباره ثورة فلسفية في حد ذاتها خاصة في مجال الأخلاق.

- إظهار مدى أهمية الفكر الفلسفي لدى "إميل دوركايم" باعتباره قد أضاف الكثير لعلم الاجتماع بعد "أوجست كونت".
- التركيز على الأخلاق الاجتماعية وماهيتها باعتبارها إذا صح التعبير أخلاق العصر الراهن.
- ومن أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها كثيرا هي مصدر التربية الأخلاقية "إميل دوركايم" ومرجع الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع للسيد محمد بدوي.

خطة البحث

الخطة:

مقدمة

الفصل الأول: الأخلاق في الفلسفة الوضعية

المبحث الأول: الفلسفة الوضعية

أولاً: مفهومها وميزاتها

ثانياً: أسباب ظهورها

المبحث الثاني: الأخلاق الوضعية

أولاً: مفهومها

ثانياً: أبرز سمات الأخلاق الوضعية

المبحث الثالث: أقطاب الفلسفة الوضعية

أولاً: أوجست كونت

ثانياً: ليفي برون

الفصل الثاني: أنموذج دوركايم

المبحث الأول: مدخل عام

أولاً: لمحة عن إميل دوركايم

ثانياً: الظاهرة الاجتماعية

المبحث الثاني: مذهبه الأخلاقي

أولاً: عناصر الحياة الأخلاقية

ثانياً: الأساس الاجتماعي للحياة الأخلاقية

المبحث الثالث: نقد مذهب الأخلاقي

الخاتمة

قائمة المصادر والمراجع

الفصل الأول

الفصل الأول الأخلاق في الفلسفة الوضعية

الفصل الأول: الأخلاق في الفلسفة الوضعية

المبحث الأول: الفلسفة الوضعية

أولاً: مفهوما وميزاتها

الوضعية من حيث صورتها مذهب فلسفي معادي للمذاهب الميتافيزيقية و اللاهوتية الخرافية التي تعتمد في تفسيراتها إلى قضايا مفارقة غامضة لا تخضع للتقدير ولا للتدليل ولذلك فهي تعلن ببطلاتها أما الوضعية من حيث مضمونها فهي فلسفة العلوم و السياسة و الدين فهي في ميدان العلوم تعني تقديم تفسير وضعي للظواهر الطبيعية "علم الفيزياء" والإنسانية "علم الاجتماع" يكون قوامه القانون العلمي الذي تستقيم عليه رؤية الإنسان لأشياء في حاضرها و مستقبلها أما السياسة الوضعية فهي ترمي إلى تأسيس نظام اجتماعي يتناسب مع عصر الصناعة حيث السلطة الروحية (الممثلة برجال الدين) تنبذ عن السياسة¹.

لقد كان ميلاد الفلسفة الوضعية على يد الفيلسوف الفرنسي "أوجست كونت" قامت هذه الفلسفة على اثر الانتقادات التي وجهت للفلسفات السابقة التقليدية، منذ العصر اليوناني مع أفلاطون إلي غاية العصر الحديث مع كانط، ولقد كانت كرد فعل على الاتجاهات النقدية للمذهب العقلاني، نقدت العقلانية الألمانية عند هيجل و كانط والعقلانية الفرنسية عند ديكارت، كما انتقدت النزاعات المثالية و الروحية ، و فلسفات عصر التنوير أيضا ، ان الفلسفة الوضعية هي تلك الفلسفة التي تمجد العلم وتقوم على ملاحظة الظواهر وتفسيرها تفسيراً علمياً وتؤمن بفكرة النسبية والتجدد و التنوع .

¹ أحمد ملاح ، تاريخ الفلسفة الغربية من طاليس إلى باشلار ، ط1، رياض العلوم للنشر و التوزيع ، الجزائر -2006

الفصل الأول الأخلاق في الفلسفة الوضعية

والوضعي في فلسفة أوجست كونت يطلق عل الواقعي والفعلية المستقل عن معنى الشرع الإلهي، و الوضعي بهذا المعنى مرادف للحقيقي و التجريبي ،ومقابل للتأملي و الخيالي و الوهمي، والحالة الوضعية في قانون الحالات الثلاث مقابلة للحالة اللاهوتية والميتافيزيقية¹ .

يقول "أوجست كونت" : "إن لفظ الوضعي يدل على الحقيقي "le réel"، المقابل للوهمي "chinerique" وهو موافق من هذه الجهة للروح الفلسفية الجديدة ،وهي الروح التي تتميز بارتباطها بالبحوث العلمية التي يستطيع عقلنا أن يضطلع عليها².

إن الوضعية حسب اعتقاد "أوجست كونت" فلسفة جديدة واقعية وحقيقية وعلمية، لأنها ارتبطت بالبحث العلمي ،و يمكن للعقل البشري أن يلم بها ويفهمها على عكس الأمور و الأفكار الوهمية المبهمة و غير المفهومة.

و الطابع الوحيد المميز للفلسفة الوضعية هو المطابقة عل الحقائق، و يتحتم كذلك أن تكون هذه الفلسفة بعيدة كل البعد عن المذهبيين التجريبي و التصوفي و يلزمها أن تبحث عن قوانين الظواهر، أعني العلاقات الدائمة التي بين الظواهر الموضوعية تحت الملاحظة، ويجب أن تتم ملاحظة الظواهر بالتشابه في وقت واحد أو بالتعاقب، ثم نربط هذه الظواهر إما بالتشابه أو بالتسلسل، و يجب أن لا نضع في اعتبارنا البحث عن الأسباب المطلقة، ولا الطبيعة الجوهرية للأشياء، فخلاصة الفلسفة الوضعية هي أن نضع الشيء النسبي مكان المطلق³.

¹ جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ،(د،ط)، دار الكتاب اللبناني ، لبنان ، 1979 ، ص577

² الطاهر مولف ، العقل الوضعي عند أوجست كونت ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة ، منشورة، قسم الفلسفة ، جامعة منتوري قسنطينة ، 2008 ، ص52

³ جاستون بوتول ، تاريخ علم الاجتماع : ترجمة غنيم عبدون ،(د،ط) مطابع الدار القومية للطباعة و النشر ، (د،ت)،

الفصل الأول الأخلاق في الفلسفة الوضعية

إن فلسفة الوضعية هي توجه فكري جديد، مختلف عن التفكير التصوفي أو الميتافيزيقي الذي يهتم بجواهر الأشياء، و يدرس الأفكار المجردة المنفصلة عن الواقع، إنها إحدى فلسفات العلوم التي تستند على أن العلوم الاجتماعية يجب أن يكون مثلها مثل العلوم الطبيعية، فيما يخص المعرفة الحقيقية هي التي تستمد من التجربة و الملاحظة الحسية، و الأبحاث العلمية على عكس علوم اللاهوت و الميتافيزيقا التي تعتمد على المعرفة الاعتقادية غير المبرهنة و المؤكدة، كما أنها أحيانا غير منطقية، ويعتقد "أوجست كونت" بأن العالم سيصل إلى مرحلة من الفكر و التقدم تنفى و تستبعد فيها القضايا الفلسفية و الدينية، و تبقى القضايا العلمية المثبتة تجريبيا أو عن طريق الخبرة الحسية.

تهتم الفلسفة الوضعية أو المدرسة الوضعية بدراسة الظواهر الاجتماعية دراسة علمية مثلها مثل الظاهرة الفيزيائية، من خلال إقامة البحث على العينات الاجتماعية أي الأفراد، ثم تعميم نتائج البحث على نطاق واسع في المجتمع .

أراد "كونت" إعادة تنظيم المجتمع على أسس قوية من المعرفة و العلم، و جاء بفلسفة عقلية، بل عقلية علمية قوامها مبدأ كفاية المعرفة الوضعية، تلك المعرفة التي تلي نوعين سابقين من المعارف هما : المعرفة اللاهوتية التي تحاول تفسير الحوادث بإرجاع مبدأ مشترك خارق للطبيعة ، ثم المعرفة الميتافيزيقية التي تشرح الحوادث بعقل أو مبادئ كامنة داخل الأشياء ذاتها ، وما هذه العلة والمبادئ سوى معاني مجردة أو ألفاظ خلقها التخمين ، و جسدها الضن ، و جسمها الخيال¹.

أخذ "كونت" على عاتقه مهمة إعادة بناء المجتمع المحطم، الذي كان قد بني على أساس من المعارف الوهمية واللاهوتية، التي لا على أساس واقعي أو حقيقي لها ، وإنما تعتمد على التفسيرات الماورائية فحسب ، أدت بالمجتمع إلى الضعف و الاستكانة ، رأى

¹ عادل العوا ، العمدة في فلسفة القيم ، ط1، دار طلاس ، دمشق 1986، ص189

الفصل الأول الأخلاق في الفلسفة الوضعية

بضرورة إقامة أو وضع معرفة علمية صحيحة من شأنها أن تكون أساس متين لإعادة بناء وتنظيم المجتمع من جديد ، لأنه علينا أن نفهم و نسيطر على الطبيعة ليس بأمور خارقة للطبيعة ، أو معاني مجردة و خيالية.

وقد سعى "كونت " إلى اتخاذ الفلسفة الوضعية بلسما يشفي الأدواء الاجتماعية كلها ، ووجد أن لباب هذه الفلسفة هو أحدث العلوم الوضعية وأكثرها أهمية وتعقدا ، وهو علم الاجتماع ، وبهذا العلم ترتبط السياسة و الأخلاق ، فالسياسة تمنح مبادئها من الأخلاق ، و الأخلاق إما أن تهدف إلى البحث عن قوانين الحوادث الأخلاقية ، وتكون عندئذ شطرا من علم الاجتماع ، ما دام غرضه المعرفة الوضعية بالطبيعة البشرية ، فردية وجمعية¹.

إن الهدف الذي كان يرمي إليه "أوجست كونت " هو إصلاح المجتمع ، ولكن قبل أن يبلغ هذا الهدف عليه أن يصلح العلم ، أو إعادة تنظيم العلوم ، وأبرز هذه العلوم هو علم الاجتماع ، لأنه ترتبط به السياسة و الأخلاق ، لأنهما الجانبان الأساسيان في حياة الأفراد الذين هم أجزاء للمجتمع ، و يعتبر علم الاجتماع علم وضعي اصطلح عليه "أوجست كونت " بالفيزياء الاجتماعية .

و الفيزياء الاجتماعية (la physique sociale) تحتوي على قسمين :

- السكون الاجتماعي (la statique sociale) هو قسم يقرر قوانين التواجد أي القوانين المستقرة التي لا تخضع للتغيير مثل القانون الديني و الأخلاقي .

¹ عادل العوا ، العمدة في فلسفة القيم،ص190

الفصل الأول الأخلاق في الفلسفة الوضعية

- والحركية الاجتماعية (la dynamique sociale) هو قسم يقرر قوانين التتابع أي القوانين التي تتابع التغيرات التي تحدث في المجتمع مثل قوانين تغيير المواليد و الوفيات¹.

الفلسفة الوضعية في مجملها فلسفة للعلم أو فلسفة علمية اجتماعية، لأنها أرادت دراسة كل الظواهر الاجتماعية دراسة علمية من خلال تفسير ظاهرة اجتماعية بظاهرة اجتماعية أخرى، معتمدة على الملاحظة و الحساب و القانون العلمي، و طبقت كل هذا على السياسة و الأخلاق.

لقد كان "كونت" يطمح في حياته إلى تنظيم المجتمع من جديد بطريقة تكون ذات فائدة مستمرة بالنسبة لجميع طبقات الشعب، و تكفل السلام الكلي بين الأمم، و تمنع الصراعات الاقتصادية داخل كل أمة، و تضمن للجميع حياة كريمة شريطة أن يقوموا بدورهم، و يساندوا تقدم العلم و الثقافة بكل وسيلة، و الإصلاح الاجتماعي يحدث أساسا عن طريق تطوير العلوم و تطبيقها علميا على أساس وضعي، و تلك هي وجهة نظر الفلسفة الوضعية².

لقد رأى "كونت" بأن العلم هو السبيل الوحيد والوسيلة الأنسب للحياة الكريمة، و الإصلاح الاجتماعي داخل المجتمع، و ذلك لمنع الصراعات بين طبقات الشعب، خاصة الصراعات الاقتصادية.

يقوم المذهب الوضعي على سلوك منهجي يسير من العلم إلى الدين مارا بالفلسفة ... و يدل اصطلاح المذهب الوضعي على:

¹ أحمد ملاح، تاريخ الفلسفة الغربية، ص 131

² وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة: محمود سيد أحمد، ط1، التنوير للطباعة و النشر و التوزيع،

لبنان، 2010، ص 395

الفصل الأول الأخلاق في الفلسفة الوضعية

1- أن "كونت" يريد أن يشبع الحاجات الواقعية للعقل البشري، وأن يقف عند هذه الحاجات فقط .

2 - أنه لا يسمح كوسائل لهذا الإشباع إلا بالمعارف الواقعية أيضا أي المتصلة بالوقائع الحقيقية وفي الوقت نفسه في تناول العقل البشري، ويجب أن تتلاءم هذه المعارف مع حاجاتنا الواقعية . فالمنفعة والواقع اصطلاحان يستغرقان مضمون المصطلح المسمى وضعي¹ .

اتسم المذهب الوضعي بصفتي المنفعة لأن غرضه هو تلبية حاجيات العقل البشري هذا من جهة ، أما من جهة ثانية يتسم بالواقعية ، أيضا لأنه يهتم بالمعارف الواقعية كوسائل لتغذية العقل البشري ، واستبعاد المعارف الوهمية التي تعرقل العقل فحسب تبعده عن تقصي الحقيقة ، لأنها معارف غير مبنية على قواعد ثابتة و صحيحة كالقواعد العلمية .

وينشأ عن هاتين الصفتين صفة ثالثة هي الصفة العضوية ، لأن المعارف و العواطف الإنسانية ، التي تعجز عن تنظيم يقيني مادامت لا تخضع لقاعدة حقيقية، تكون نظاما نهائيا حين تتصل كلها بغاية واحدة ولا شك فيها على حد سواء² .

وعبارة فلسفة وضعية حسب "كونت" تحمل معنى أو سع من عبارة فلسفة طبيعية ، وذلك لأن الفلسفة الوضعية لا تنطبق فقط على الظواهر الطبيعية فقط لأنها تنطبق أيضا على الظواهر الاجتماعية، أي على الظواهر الإنسانية على الأقل من الناحية المنهجية ، باعتبارها الطريقة منظمة للتفكير وصالحة للتطبيق على كل المواضيع التي تستطيع الذات الإنسانية الوصول إليها ، ومن ناحية أخرى فان الفلسفة الوضعية تحمل أيضا

¹ إميل بوترو ، العلم والدين في الفلسفة المعاصرة ، ترجمة : أحمد فؤاد الأهواني ، (د، ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1973 ، ص41

² وليم كلي رايت ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، ص41

الفصل الأول الأخلاق في الفلسفة الوضعية

معنى أقل اتساعاً من عبارة فلسفة العلوم لأنها تختص بدراسة المعارف المعتمدة والخاصة بكل بحث¹.

إن مجال الفلسفة الوضعية مجال أوسع من مجال الفلسفة الطبيعية، لأنها تهتم بالعلوم من جهة، وتهتم بالظواهر الاجتماعية لأنها تنصب دراستها على المجتمع وعلى الأفراد، كما أنها تهتم بالفلسفة والأخلاق والدين والسياسة أيضاً، هي نظرة فكرية جديدة مخالفة تماماً لما سبقها.

والوضعية بالمعنى الأوسع: هي الرأي القائل بأنه مادامت المعرفة الحقيقية كلها مؤسسة على الخبرة الحسية، ولا يمكن أن تتقدم إلا بواسطة الملاحظة والتجربة فإن المحاولات التأملية أو الميتافيزيقية لاكتساب المعرفة عن طريق العقل غير المحدود بالخبرة لا بد أن نتخلى عنها لصالح مناهج العلوم الخاصة ويقول أرفولد كولبة*: إن اسم الفلسفة الوضعية هو من وضع "أوجست كونت" الذي يرى أن الغاية من العلم يجب أن تكون كسب المعرفة التي تستطيع التغلب بها على الأشياء وعلى مجرى الحوادث في العالم، والعلم بالمعنى الصحيح هو معرفة القوانين الحقيقية للظواهر الطبيعية ولا طريقة له إلا بالتجربة².

أراد "أوجست كونت" من خلال الفلسفة الوضعية، أن يثبت قدرة العلم في اكتساب المعرفة، لكي يتغلب الإنسان على الطبيعة وعلى الأشياء، ومن خلاله نستطيع أيضاً معرفة القانون الذي يسير عليه العالم الواقعي فحسب، لأن العلم الوضعي يعتمد على

¹ الطاهر مولف، العقل الوضعي عند أوجست كونت، رسالة علمية، ص 59

² عائشة علي روزي، الأخلاق عند المدرسة الوضعية (أوجست كونت ومدرسته)، (رسالة لنيل شهادة درجة

الماجستير)، منشورة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1412 هـ، ص 25

*أرفولد كولبة فيلسوف ألماني (1862-1915) له مجهودات في قيام علم النفس

الفصل الأول الأخلاق في الفلسفة الوضعية

التجربة و الحواس ولا مجال للدراسة وبحث الأمور الوهمية والماورائية المتعالية عل العالم الحسي.

ونخلص إلى أن الفلسفة الوضعية هي :

1-فلسفة "أوجست كونت" الخاصة ، التي كانت كرد فعل على الفلسفات السابقة لها

كالفلسفة المثالية و العقلانية .

2-الفلسفة الوضعية تهتم بدراسة كل ما هو واقعي و حسي : لأن الظواهر الواقعية

المحسوسة هي الميدان الوحيد للفكر البشري ، وذلك بدراستها دراسة علمية تطبيقية

وتطبيق المنهج العلمي ، وذلك من أجل معرفة القوانين التي تحكم العالم الواقعي .

3-تؤكد الفلسفة الوضعية أنه لا وجود لمعارف قبلية أو ميتافيزيقية متعالية عن العقل

البشري ، وإنما الحقائق الوحيدة المأخوذ بها هي تلك الحقائق التي أثبتت بالتجربة

من خلال البحث العلمي القائم على الملاحظة الحسية ، كما أنها ترفض كل بحث

يتجاوز مجال الواقع الحسي مما لا يمكن إدراكه حسيا ، و هي أبحاث عقيمة

خالية من اليقين

والفلسفة الوضعية تقوم على دراسة الظواهر ومنها الظواهر الاجتماعية دراسة

علمية كالظواهر الفيزيائية ، كما أنها ربطة كل شيء بالعلم كالدين و السياسة وحتى

الأخلاق التي أكد فلاسفة المدرسة الوضعية بأنها قابلة للبحث والتجربة شأنها شأن

العلوم الأخرى .

ثانيا: عوامل ظهور الفلسفة الوضعية

الفصل الأول الأخلاق في الفلسفة الوضعية

لقد مرت أوروبا عبر تاريخها الطويل بظروف و ملابسات كثيرة خاصة بها، أثرت تأثيراً مباشراً على الجانب الفكري و الفلسفي وحتى الديني كذلك، حيث كانت سبباً في ظهور النزعة المادية و الإلحادية، ولقد ارتبط كل هذا ارتباطاً وثيقاً بظهور الفلسفة الوضعية ومهد لها، إذن هناك أسباب وعوامل أدت إلى قيام الفلسفة الوضعية أو المذهب الوضعي ومن ابرز هذه العوامل نجد:

* معارضة المذهب العقلي و المثالي في الفلسفة:

لقد قامت الفلسفة الوضعية على اثر الانتقادات و الاعتراضات التي تعرضت لها الفلسفات و المذاهب التقليدية والمثالية والعقلانية، من أفلاطون إلى كانط و هيغل في ألمانيا، والعقلانية الفرنسية عند ديكارت وفلاسفة عصر التنوير، و كل هذه التيارات الفلسفية كانت تقوم على فكرة أو مبدأ أساسي وهو أن العقل حائز بصفة قبلية لكل الحقائق و المعارف والمقولات اللازمة لمعرفة العالم الخارجي، أي حاصل بصورة سابقة على الاستعدادات الذهنية دون الاستعانة بالتجربة الحسية أو الملاحظة الواقعية

و من أمثلة النقد التي وجهها أوجست كونت لفلسفة هيغل نجد قوله أن فلسفة هيغل سلبية لأنها نقدية أي كل المبادئ التي أعلنها هيغل في فلسفته أدت إلى نقد كل شيء باعتبار أنها تنفي كل واقع لامعقول ولا عقلي.

كما أنها سلبية لأنها تبحث في إمكانيات الأشياء ولكنها عاجزة عن معرفة واقعها الفعلي¹.

أطلق كونت صفة السلبية على فلسفة هيغل لأنها في نظره أعطت للعقل الفضل الكبير في تكوين المعارف والحقائق، متجاهلاً في ذلك المعارف الحسية التي يمكننا أن نحصل عليها من التجربة و الحواس والملاحظة الواقعية لعالم الأشياء المحيط بنا،

¹ الطاهر مولف ، العقل الوضعي عند أوجست كونت ، رسالة علمية ، ص 29

الفصل الأول الأخلاق في الفلسفة الوضعية

وكذلك تعرض ديكارت وفلاسفة عصر التنوير في فرنسا تعرضوا لنقد الفلسفة الوضعية، لان ديكارت أراد بناء العلم على أسس ميتافيزيقية ، على عكس ما أراده مؤسس الفلسفة الوضعية "أوجست كونت" الذي أراد أن يضع حاجزا فاصلا بين مرحلة الميتافيزيقا ومرحلة العلم الجديدة الخالية تماما من الأفكار الميتافيزيقية، أما فيما يخص فلسفة الأنوار فلقد تأثر "أوجست كونت" بالتهكم اللاذع لفولتير ضد الميتافيزيقيا.

*رد فعل معاد على الكنيسة و استبدالها:

إن السيطرة والغلو الرهيب الذي وصلت إليه الكنيسة ،كان من ابرز الأسباب والدوافع إلى التطرف و الثورة على التعاليم الدينية وظهور النزعة الإلحادية التي تعترف بما هو مادي فحسب .

أما ابرز النقاط التي عابها "أوجست كونت" على الكنيسة هي فكرة الخلود فلقد غالت الكنيسة الكاثوليكية في التركيز على الأنا egoism ،وجعلت كل فرد مهتما بإفراط بخلاصه الخاص في حياة أخرى، إن الخلود الوحيد الذي نعرفه هو خلود الذكرى الموجودة في أذهان أولئك الذين سيأتون بعدنا، وستصبح حياتهم أفضل بسبب مجهوداتنا ،هذا الخلود بعرفه الجميع ، ومهما كان الشخص متواضعا فانه إذا بذل إسهاما متواضعا في سبيل الخير العام ، فان تأثيره سيستمر ويستحق أن ينظر إليه على أنه أحد المساهمين في تقدم البشرية¹.

يتضح هنا أن الفرد لا يجب أن يعيش حياته وهو مهتم بما سيحدث بعد الموت ، كما تنص تعاليم الكنيسة ، كما لا يجب أن يصب اهتمامه على الخلود فحسب، وإنما عليه أن يسعى لكي يكون فردا صالحا في المجتمع من خلال أعماله ومجهوداته التي تخدم البشرية ككل من بعده.

¹ وليم كلي رايت ، تاريخ الفلسفة الحديثة ،ص405

الفصل الأول الأخلاق في الفلسفة الوضعية

كما أن الكنيسة قد وضعت الأغلال على العقل البشري و منعتة التفكير و الاعتراض على التقاليد و التعاليم الجوفاء التي نصت عليها كما أنها تسعى دائما إلى طمس محاولات بعض العلماء في تغيير و تصحيح بعض الأفكار التي تبثها في عقول الأفراد على الرغم من بطلانها ، حتى وصل بها الأمر إلى تطبيق الحكم بالإعدام مثلما حدث مع "جاليليو غاليلي" الذي قال بأن الأرض تدور وليست ثابتة كما كانت تنص تعاليم الكنيسة ، ثم نظرية نيوتن القائلة بإمكانية تفسير الظواهر الطبيعية دون إدخال قوى خارجية عنها كل هذا وقفت أمامه الكنيسة بالمرصاد و حاربتة .

لقد قاومت الكنيسة بكل ما أمكنها أمثال هذه النظريات العلمية و التي تأكدت صحتها بعد مرور الزمن ، و عذبت العلماء إلى درجة إحراق بعضهم أحياء ، و نشطت محاكم التفتيش التي اشتهرت في تاريخ أوروبا المظلم و التي تعتبر وصمة عار في جبين أوروبا لفضاعة ما ارتكبهت هذه المحاكم في حق الشعوب دون استناد إلى دليل مما أدى إلى حدوث ردود فعل عنيفة، و تيارات مضادة نبذت كل ما تدعو إليه الكنيسة ورفضوا الدين ككل¹ .

وهذا ما أشعل فتيل الثورة في فرنسا على تعاليم الكنيسة المتسلطة وعلى رجال الدين أيضا، بعد أن ظهر فسادهم وفساد تعاليمهم و كل هذا كان بمثابة الأرضية المناسبة لميلاد المذهب الوضعي ، الذي لا يقر بشيء خارج العالم الحسي وخارج العلم و اليقين ويرفض كل ما هو وهمي بل كل ما هو ديني أيضا .

*التقدم العلمي:

لقد أسفرت الثورة الصناعية في أوروبا على إحداث تطور شامل في كل المجالات، و شمل كل مناحي الحياة ، و وفر كل سبل العيش الرغيد و المريح مما أدى إلى زيادة

¹ عائشة على روزي ، الأخلاق عند المدرسة الوضعية ، رسالة علمية ، ص 29

الفصل الأول الأخلاق في الفلسفة الوضعية

إيمان الناس بالعلم و اهتمامهم به بعدما كانوا قد تأكدوا ص فشل الدين في توفير الحياة الجيدة لهم، بل كان سببا في حدوث ثورة دامية نتيجة الممارسات السلبية له من قبل الكنسية.

وأصبح الناس في أوروبا يؤمنون بأنه ثمة طريقة واحدة أثبتت قيمتها في العالم الإنساني هي الطريقة العلمية، وعلى الإنسانية ألا تعول إلا عليها فليدرك المفكرون إذن قوة هذه الطريقة ليطبقوها على العلم الواجب إيجاده على علم المجتمعات، بذلك يصنعون الأداة التي لا غنى عنها للنهوض بالعالم الإنساني المتزعزع، وان المعرفة العلمية بالحياة الاجتماعية ستسمح بتنظيم هذه الحياة لخير الجميع¹.

لقد كان "كونت" ينظر إلى القرن التاسع عشر على انه عصر أزمة ميزته الثورات وحالة اللااستقرار السياسي و الاجتماعي خصوصا بعد الثورة الفرنسية، فالثورة حسب "كونت" أزمة ضرورية لكن ينبغي التمييز في العصر العضوي بين عنصرين يخلط بينهما "دي بونالد" فهو يصيب عندما يفترض أنه لا تقوم سلطة اجتماعية إلا على اعتقاد يؤسسها لكنه يخطئ عندما حسب انه ما من اعتقاد يؤسس المجتمع غير الاعتقاد اللاهوتي².

ليس الإصلاح من مهمة رجال الدين أو اللاهوتيين، لأن الحال التي وصلت إليها أوضاع أوروبا بعد الثورة تحتاج إلى العلماء، لأن من شأنهم جعل الأوضاع السياسية تتحسن من خلال ضم السياسة إلى مصاف العلوم القابلة للتحسين والتصحيح.

أرادت الفلسفة الوضعية أن تستفيد من التطور العلمي لإصلاح أوضاع المجتمع، حيث يقول "أوجست كونت" انه لمواجهة هذه الأزمة الفوضوية التي تجتاح المجتمع يوما فيوم،

¹ عائشة على روزي، الأخلاق عند المدرسة الوضعية، رسالة علمية، ص33

² إميل برهيه، تاريخ الفلسفة الحديثة، ج7: ترجمة جورج طرابيشي، دار الطباعة للنشر و التوزيع، بيروت

1985، ص345،

الفصل الأول الأخلاق في الفلسفة الوضعية

إن الحلول العدائية في العودة إلى العصر اللاهوتي و الليبرالية الحديثة هي ضارة من حيث أنها لا تعتمد اتجاهها عضويا لحل المشكلة¹.

أراد "كونت" إصلاح أوضاع المجتمع لكن بطريقة مختلفة عن باقي المصلحين الاجتماعيين، و بعيدة عن الحلول القائمة عن أصل لاهوتي أو ميتافيزيقي.

ليس هذا الإصلاح من مهمة المشرعين بل العلماء يجب أن يرفع العلماء اليوم السياسة إلى مصاف علوم الملاحظة، كما يجب أن يستند إلى حالة التطور الضروري الذي توصل إليه الفكر، حالة العلم الوضعي التي تلي حالات التفكير اللاهوتي و الميتافيزيقي².

بعد التطور الكبير الذي وصل إليه المجال العلمي حدث ترابط بين العلم وشتى مجالات الحياة الإنسانية، الاقتصادية و الثقافية و الاجتماعية، و الفلسفة الوضعية كانت كنتيجة لذلك، وأرادت أن تسهل مهمة العلم الوضعي في إعادة بناء المجتمع و الفرد على حد سواء وفق أسس و معايير جديدة ومختلفة تماما عما سبقها في المراحل السابقة من حياة البشر وهي اللاهوتية و الميتافيزيقية.

والفلسفة الوضعية هي في آن واحد نتاج و دواء لعصر مضطرب، فالمخاوف التي تنتاب الإنسان المتبصر و الجموع غير المتصبرة ليس بلا أساس، الخوف من عودة ماضٍ منتبذ، وعدم اليقين من مستقبل لا سبيل إلى تحديده، وفي ظل عدم الاستقرار هذا تربط الفلسفة كل من الاستقرار العقلي و الاجتماعي باستقرار العلم³.

¹ جان ميشال برتيلو، بناء علم الاجتماع : ترجمة جورجيت الحداد، ط1، عويدات للنشر و الطباعة، لبنان، 1999، ص25

² جان ميشال برتيلو، المرجع نفسه، ص26

³ جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ط3، دار الطليعة للطباعة، بيروت، 2006، ص543

الفصل الأول الأخلاق في الفلسفة الوضعية

المبحث الثاني : الأخلاق الوضعية

أولاً: مفهومها:

تؤكد الفلسفة الوضعية أن جميع القيم بما في ذلك القيم الأخلاقية هي صادرة عن المجتمع، و هذا المجتمع هو الذي تكتسب منه الظاهرة الأخلاقية طابع التقديس.

لقد اقتصرت دراسة الأخلاق عند الفلاسفة في تعريف الفضائل و الرذائل ،وفي البحث عن مبدأ عام تؤسس عليه الأخلاق، وقال بعضهم إن هذا المبدأ هو العقل وقال آخرون انه العاطفة، وقال غيرهم انه الطبيعة أو اللذة أو المنفعة... و بالرغم من هذا الاختلاف

الفصل الأول الأخلاق في الفلسفة الوضعية

في المبادئ فقد اتفق الجميع على أن المشكلة الأساسية التي تتطلب منهم البحث هي تحديد القيمة الخلقية و تبرير القواعد العملية السائدة في المجتمع¹.

ارتبطت الأخلاق منذ القدم بالفعل الإنساني بين أن يكون رذيلًا أو يكون فاضلاً، كما ان إشكالية المبدأ الأساسي و المصدر الرئيسي للأخلاق قائمة منذ زمن أيضا بين العقل و العاطفة أو الطبيعة و المنفعة إلى غاية العصر الحديث، وبعد ظهور الفلسفة الوضعية ظهر مبدأ جديد يمكن أن تقوم عليه الأخلاق ويمكن له أن يصدر قيمة خلقية هو المجتمع.

لكن التساؤل المطروح هنا كيف يمكن تحديد القيمة الأخلاقية داخل المجتمع؟ أو بتعبير أدق ما هي الأخلاق الوضعية؟ وما هي خصائصها؟

أراد رواد الفلسفة الوضعية أن يؤسسوا كذلك أخلاقا علمية شأنها شأن العلوم الأخرى كالفيزياء وعلم الفلك، ويمكنها أن تخضع للدراسة العلمية والبحث العلمي، إلا أن العلم يدرس الظواهر ليقرر حقيقتها و لا شأن له بالحكم عليها أو وضع قواعد معينة للسلوك.

أراد "أوجست كونت" مؤسس الفلسفة الوضعية أن يضع قواعد منهجية لدراسة الظواهر الاجتماعية بما فيها الأخلاق، ولكن عندما حان الوقت لتطبيقها خرج "كونت" عن العلم وتقمص شخصية رسول الإنسانية وأراد أن يحقق حلم الإنسانية القديم بوضع قواعد خلقية نهائية وثابتة للإنسانية جمعاء... كما حاول "دوركايم" كذلك دراسة الحقيقة الخلقية، إلا أنه لم يستطع أن يفصل فصلا تاما بين وجهة النظر العلمية ووجهة النظر الذاتية².

¹ السيد محمد بدوي ، الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع ،(د،ط)، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ،2000، ص151.

² السيد محمد بدوي ، الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع ، ص151

الفصل الأول الأخلاق في الفلسفة الوضعية

لقد حاول أنصار الفلسفة الوضعية، إيجاد أخلاق وضعية كذلك تقوم على أساس علمي وواقعي وتكون مبادئ ثابتة للسلوك، إلا أنهم خرجوا من حيز العلمية إلى حيز الذاتية رغم محاولاتهم لتجنب ذلك، لأن الأخلاق لارتباطها بالسلوك الإنساني الذي عرف بتغيره وتأثره بالظروف المحيطة به لا يمكن ضبطه بقواعد محددة بل لا يمكن أن ندرسه دراسة علمية موضوعية، لان الذاتية ستحول دون ذلك دائما.

ولا نجد بين علماء الاجتماع في العصر الحديث غير "لوفي برول" الذي استطاع أن يتحرر من وجهة النظر الذاتية، وان يميز بوضوح بين القواعد التي تنظم السلوك وبين البحث عن القوانين التي تفسر هذا السلوك، وقد وضح أن الأخلاق وهي مجموعة القواعد والأوامر والنواهي والواجبات لها وجود خاص كوجود الأديان واللغات والقوانين، فهي إذن معطيات يمكن دراستها من الخارج، والبحث العلمي ينحصر في دراسة هذه المعطيات كما تظهر لنا في المجتمعات الإنسانية المختلفة، أي دراستها بنفس الطريقة التي يدرس بها عالم الطبيعة موضوعات بحثه¹.

إذا اعتبرنا الأخلاق كمعطيات خارجية تميز مجتمع ما، فإننا يمكن أن ندرسها دراسة علمية، وهنا يمكن اعتبار العادات والتقاليد وحتى الدين واللغة مجموعة من المعطيات للموضوع الأساسي الذي هو الأخلاق.

فالأخلاق كما يدرسها علماء الاجتماع اليوم، عبارة عن دراسة وضعية لأنواع السلوك التي يسلكها الناس في بيئة معينة وفي عصر معين، والمنهج الذي يستخدمونه لم يعد منهجا استبطانيا أو حدسيا أو تأمليا نظريا، بل أصبح منهجا كيميا استقرائيا يقوم على الملاحظة والإحصاء وما إلى ذلك من مناهج علمية دقيقة².

¹ السيد محمد بدوي، المرجع نفسه، ص 152

² السيد محمد بدوي، الأخلاق بين الفلسفة و علم الاجتماع، ص 154

الفصل الأول الأخلاق في الفلسفة الوضعية

إن الأخلاق من وجهة نظر الوضعيين، أو الأخلاق الوضعية هي دراسة أنماط السلوك الذي يسلكه أفراد معينون داخل بيئة معينة في زمن معين، باستخدام المنهج الاستقرائي القائم على الملاحظة الحسية ثم إحصاء المعطيات، ثم الخروج بالنتيجة، وهذا ما يحدث في أي منهج علمي دقيق.

والأخلاق في المذهب الوضعي تقوم على علم الاجتماع وذلك لان العلم الأخلاقي ليس له أن يختار، فإما أن ينصرف للبحث عن قوانين الظواهر الأخلاقية، وهذا البحث الذي يقوم على المعرفة الوضعية للطبيعة الإنسانية سواء أكانت فردية أو جمعية، يكون جزءا من علم الاجتماع، وإما أن يستند إلى معرفته بهذه القوانين في الوصول إلى أفضل طريقة لتعديل هذه الظواهر حسب ما تسمح به قدرة الإنسان وحينئذ تكون الأخلاق فنا يتعين علينا تحديد قواعده، ولكي نتمكن من تحديد هذه القواعد تحديدا يقوم على العقل يجب أن نبدأ بتأسيس علم الاجتماع نفسه على أسس عقلية، وعلى ذلك فسواء نظرنا إلى الناحية العلمية أو إلى الناحية النظرية الصرفية فإن الأخلاق كعلم وضعي تعتمد على علم الاجتماع¹.

إن الأخلاق الوضعية لا ترتبط بالمبادئ المسبقة والقبلية والأفكار والمعاني المطلقة كما عند المذاهب الأخلاقية السابقة، بل هي تعتمد على علم الاجتماع الذي يحدد لها قواعدها من اجل الوصول إلى قوانين تضبط سلوك الإنسان.

لقد ارتبطت الأخلاق عند الفلسفة الوضعية بفكرة الواجب وتعزيز العاطفة الإنسانية بين أفراد المجتمع، وسمي هذا القانون حسب "أوجست كونت" بقانون الغيرية الذي هو صلب علم الأخلاق أو الأخلاق الوضعية.

¹ عائشة على روزي، الأخلاق عند المدرسة الوضعية، رسالة علمية، ص218

الفصل الأول الأخلاق في الفلسفة الوضعية

وأما قانون التقدم العاطفي فيمضي من الأناية إلى شيء من الغيرية، ثم لا تزال الغيرية تتقدم حتى تسود سيادة تامة تماشيا مع القوانين؛ فاتحاد الأفراد في الأسرة واتحاد الأسرة لأجل الحرب، وتعاون المجتمع لأجل ازدهار الصناعة، تلك مراحل نمو الغيرية، هذا القانون هو صلب علم الأخلاق ولم يكن "كونت" عالج هذا العلم إلا في الفصل الأخير من علم الاجتماع، ثم اقتنع بأهميته العظمى لتعزيز العاطفة الاجتماعية واعتزم أن يجعل منه علما قائما برأسه يكون سابع العلوم الرئيسية، ومهمة الفلسفة الوضعية أن تعمل على محو فكرة "الحق" الراجعة إلى أصل لاهوتي من حيث أنها تفرض سلطة أعلى من الإنسان وحصر الأخلاق كلها في فكرة "الواجب" ذلك الميل الطبيعي إلى إخضاع النزاعات الذاتية لصالح النوع أجمع بحيث يصير شعارنا الحياة لأجل الغير¹.

إن فكرة الواجب الإنساني متجذرة في الروح الاجتماعية حسب الفلسفة الوضعية، وبما أن الفرد عضو من أعضاء المجتمع ككل، لذا وجب عليه أن يتماشى والنظام الكلي للأشياء من أجل ضمان مصلحته الخاصة ومصلحة الجماعة أيضا وترمي الأخلاق الوضعية إلى تحقيق معنى الإنسانية التي تقوم على تضافر الأفراد والجماعات، ولا سبيل لهذا إلا عن طريق الاعتماد على العلم الواقعي لأنه مفيد جدا لعلم الأخلاق، لأنه يلاحظ ويعين درجة التأثير المباشر وغير المباشر لكل الميولات والأفعال والنشاطات في الحياة الفردية والاجتماعية داخل المجتمع الواحد في زمن معين.

¹ يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ،(د،ط)، دار المعارف ، القاهرة ، (د ، س)، صص 339-340

الفصل الأول الأخلاق في الفلسفة الوضعية

ثانيا: سمات الأخلاق الوضعية:

بما أن الأخلاق الوضعية ارتبطت بالعلم التجريبي ،فان السمات التي تمتاز بها هي نفسها التي يتصف بها العلم التجريبي وأبرز السمات المتواجدة في الأخلاق الوضعية نجد أنها نسبية وأنها كذلك مرتبطة بالواقع وبالحقيقة الواقعية.

1-أنها أخلاق نسبية:

إن الأخلاق الوضعية تهتم بمعرفة ودراسة طبيعة السلوك الإنساني وتحديد ضوابطه، والغاية من سلوكات البشر في زمن ومكان معينين، وتبيان أفضل سبيل لاستعمال قدرات الإنسان في تغيير مجرى الحوادث، وكلما تغير زمان ومكان الأفراد تغيرت أخلاقهم بحكم أنها مرتبطة بالتطور والتغير الحاصلين في العالم مما جعل منها ثوابت ومعايير نسبية قابلة للتغير والتجدد.

الفصل الأول الأخلاق في الفلسفة الوضعية

إن الأخلاق الوضعية أخلاق نسبية ولكن ذلك لا يعن أن الخير إما أن يكون مطلقا وإما أن يزول بدون وجود حال وسط، فالاعتراف بنسبية الأخلاق لا يحكم عليها بالزوال، وقد انتهى الأمر إلى أن الفكر البشري ألف الإقرار بنسبية الحقيقة وليس ما

يمنع اتخاذ حل مماثل في موضوع الأخلاق وما الخير النسبي إلا تقدم نحو غاية مثلى تقترب منها دوما من غير أن نبلغها تماما في أي وقت من الأوقات وقد تطورت الأخلاق تطورا يساير تطور المعرفة وبيوازيها¹.

إن الإقرار بنسبية الأخلاق ليس معناه أن ننفي كل ما لا يتماشى مع التطور الحاصل في المجتمع، لأن الخير يبقى خيرا مهما اختلفت الأزمنة والأمكنة كذلك، لأنه قابل للتجديد حسب ما يقتضيه العصر، ويساير تطور المعارف والعلوم أيضا ويتماشى معها.

إن كل مرحلة من مرحلة نموها تفترض مراحل سابقة، وتحفظ بما أخذته عنها بعد تحويله وتطويره، وعلى هذا فان ثمة "خيرات" موقوتة زمنية كما أن هناك حقائق موقوتة زمنية، وأن الأخلاق الراهنة في المذهب الوضعي تقوم على ترجيح جانب الغرائز الطيبة، غرائز الإيثار والتعاطف لجعلها متفوقة تسير مع الانعطاف الأثاني وتتوصل بعدئذ إلى طبع الشخصية الإنسانية بالطابع الاجتماعي الصحيح².

الأخلاق من وجهة نظر الفلسفة الوضعية، تأخذ على ما قبلها ثم تقوم بتطويره مع ما يتماشى مع الزمن الحالي، أي الأخلاق الوضعية هي أخلاق موقوتة تتماشى مع الزمن وتطوره، وذلك ليس بإلغاء بعض القيم وإنما تجديدها وتطويرها حسب معطيات العصر والزمن الراهن، مما يؤدي كذلك إلى طبع الشخصية الإنسانية بطابع أخلاقي واجتماعي جديد وصحيح بعيد عن الأثانية.

¹ عادل العوا ، العمدة في فلسفة القيم ، ص190-191

² عادل العوا ، العمدة في فلسفة القيم ، ص191

الفصل الأول الأخلاق في الفلسفة الوضعية

يقول "لوفي بريل": "القول بأن هذه الأخلاق وضعية معناه أيضا إنها نسبية، إن نسبية المعرفة تؤدي إلى نتيجة مباشرة وضرورية، وهي نسبية الأخلاق" فالأخلاق الوضعية تعتبر أخلاقا نسبية، فكما أن المعرفة في نظر المذهب الوضعي نسبية كذلك الأخلاق تعتبر أخلاقا نسبية فهي نتيجة مؤكدة لنسبية المعرفة كما يقول¹.

ارتبطت الأخلاق بالعلم والمعرفة وهما نسيبان تماما، مما أدى إلى نتيجة حتمية وهي أخلاق نسبية متغيرة ومتجددة، تخضع لعامل التجدد والتطور والتغير والتبدل.

والقول بأن الأخلاق وضعية بمعنى أيضا أنها نسبية: إذ أن نسبية المعرفة تؤدي إلى نتيجة مباشرة وضرورية وهي نسبية الأخلاق، زد على ذلك أن وجود النوع البشري يتوقف على مجموعة كبيرة من الشروط الطبيعية والفلكية والفيزيقية والبيولوجية والاجتماعية، فلو قدر لهذه الظروف أن تكون على غير ما هي عليه، وهو ما لا يستحيل تصوره عقلا لصارت أخلاقنا أيضا مختلفة عما هي عليه الآن، وحينئذ فهي نسبية بالنسبة إلى مركزنا في الكون وإلى تركيبنا العضوي².

الأخلاق الوضعية ارتبطت بالمعرفة النسبية المرتبطة بتغير الظروف والشروط القائمة عليها، كما أنها ارتبطت بالإنسان الذي تحكمه عواطفه، المحكومة أيضا بتغير الزمان والمكان وتغير أعمار البشر أيضا، وكل هذا تترتب عنه نتيجة ضرورية هي نسبية الأخلاق.

والنسبية وفقا لتعاليم المذهب الوضعي ضرورة نظرية وعقلية تقتضيها نسبية المعرفة، كما أن هذه النسبية لا تصبح حقيقة واقعة إلا إذا قدر للظروف التي يستمد منها التنوع البشري حياته أن تصبح على غير ما هي عليه، فلقد كان "كونت" ينظر إلى البشرية في

¹ عائشة علي روزي ، الأخلاق عند مدرسة الوضعية ، رسالة علمية ، ص 229

² السيد محمد بدوي ، الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، ص 159

الفصل الأول الأخلاق في الفلسفة الوضعية

مجموعها... كما أن النسبية تتحقق في المجتمع الواحد خلال الزمان تحت ضغط التغيير الاجتماعي، إذ يؤدي التغيير في بعض النظم والتساند الوظيفي بين النظم المختلفة، إلى تغيير مماثل في النظام الأخلاقي¹.

2- أنها أخلاق مرتبطة بالحقيقة الواقعية:

إن الفلسفة الوضعية قد قامت ضد الفلسفات المثالية واللاهوتية واعتضت كذلك عن المثالية في الأخلاق أيضا، لذا أول ما ربطت به الأخلاق هو الواقع المحسوس أو الملموس، فهي لا تدرس ما يجب أن يكون وإنما تدرس ما هو كائن فقط وواقعي وعلمي.

لقد أراد فلاسفة النظرية الوضعية أن يجعلوا من الدراسة الأخلاقية علما يقوم على التحديد الموضوعي، وهكذا أصبح للأخلاق طابع علمي لا شخصي، وصارت الأخلاق تدرس الإنسان من الخارج.

لقد اعتبر الوضعيون الظواهر الخلقية مجرد وقائع اجتماعية تقبل الوصف والتحليل والتصنيف، وذهبوا إلى أن لكل شعب من الشعوب أخلاقه الخاصة التي عملت على تحديدها ظروف اجتماعية متعددة، والواقع أن العادات، والتقاليد، والأعراف، والآداب العامة ومعايير الخير و الشر... يمكن دراستها عن طريق استخدام المناهج العلمية الدقيقة، ولعل هذا ما ذهب إليه - مثلا- أنصار المدرسة الاجتماعية الفرنسية حينما نظروا إلى "الظاهرة الخلقية" على إنها واقعية حتمية ضرورية، يمكن التعرف على أسبابها بالرجوع إلى الظروف الاجتماعية المحيطة بها².

إن الأخلاق الوضعية أو كما اصطلح عليها دعاة الوضعية بالظاهرة الخلقية هي أخلاق واقعية موضوعية، لها سلطة وإلزام و قدسية، ترتبط ارتباطا مباشرا بسلوك الإنسان،

¹ السيد محمد بدوي، المرجع نفسه : ص ص 159-160

² زكرياء إبراهيم ، المشكلة الخلقية ، (د،ط)، دار مصر للطباعة ، مصر ، (د،ت)، ص 78

الفصل الأول الأخلاق في الفلسفة الوضعية

والأخلاق الوضعية تعالج الظواهر الخلقية للإنسان كما هي قائمة بالفعل، ولا تعترف بما يجب أن يكون لأنه غير مرتبط بالواقع بل هو مجرد وهم، ولا يقر بها العلم الوضعي الذي يقتصر على دراسة الواقع فحسب، وبما أن الأخلاق ارتبطت بالعلم فهي قد اتسمت بالحقيقة العلمية أيضا كما اتسمت بالموضوعية.

يقول "ليني برول": "لما كانت الأخلاق عند "كونت" تقوم على أساس العلم الوضعي فإنها تحقق صفاته الجوهرية، فهي حقيقة ومعنى ذلك أنها تقوم على الملاحظة لا على الخيال، وهي تنظر إلى الإنسان كما هو كائن بالفعل لا على النحو الذي يتخيل أنه يوجد عليه، فهي لا تعتمد إذن على التحليل التجريدي لما ينطوي عليه قلب الإنسان من مشاعر خاصة، بل تعتمد على الأدلة التي برهنت بها الإنسانية على وجود ميولها وبواعثها المألوفة التي حفزتها إلى العمل من خلال القرون التي قص علينا التاريخ أخبارها، وفي جملة القول إذا استخدمت منها موضوعيا حقا فإنها تتجنب أسباب الأخطاء الجسيمة¹".

ارتباط الأخلاق بالعلم ابعدها عن المثاليات والخيال والأوهام حسب الوضعيين، وهي تقوم على الملاحظة والتحليل التجريبي، وتعتمد على الأدلة والبراهين واستخدامها للمنهج الموضوعي والعلمي جعلها تتجنب الأخطاء التي وقعت فيها الفلسفات السابقة في تنظيرها للأخلاق.

¹ عائشة علي روزي ، الأخلاق عند المدرسة الوضعية ، رسالة علمية ، ص 228

المبحث الثالث: أقطاب الفلسفة الوضعية

أولاً: أوجست كونت

هو أوجست إيزيدور ماري فرانسوا، كزافييه كونت، ولد في مونبلييه (1798-1857م) أنشأته والدته على الديانة الكاثوليكية، تتلمذ على يد أستاذه سان سيمون، وكان ما جذبته إليه هو فكرة غلبة الصناعة غير القابلة أصلاً للفصل عن العلم¹.

ويعد "كونت" ابن عصر التنوير، جرى على تقليد وتراث فلاسفة التقدم في أواخر القرن الثامن عشر... ولقد فرغ "كونت" من الاضطرابات التي عانى منها النظام الاجتماعي، ومن ثم جد في طلب النظام والتضامن... وإضافة إلى أن "كونت" عاش فترات مد وجزر، ثورة وثورة مضادة، ديمقراطية وديكتاتورية، وكلها ولا شك أثرت في فكر "كونت" وتصوراتهِ للعلم الوليد، موضوعاً وغاية².

¹ جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ص 540

² عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، (د،ط)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأحداث

1981، ص 60،

الفصل الأول الأخلاق في الفلسفة الوضعية

من أهم مؤلفاته :كتابه "دروس في الفلسفة الوضعية سنة 1830 حتى 1842" فيه ستة أجزاء و"دروس في الروح الوضعية، عام "1842" و"نسق السياسة الوضعية في أربعة أجزاء نشرت عام "1851" حتى عام "1854" وعقيدة الدين الوضعي، عام "1852" و"التركيب أو التأليف الموضوعي، عام "1856" قبل وفاته بعام واحد¹.

ويعود الفضل في تأسيس علم الاجتماع الحديث إلى "أوجست كونت" ويعتبر من أبرز فلاسفة النظرية الوضعية عرف باعتراضه على الفلسفات المثالية والمذهب العقلاني، ونقده لهم كما اعترض على النظريات اللاهوتية والميتافيزيقية القديمة، اهتم بدراسة العلم الوضعي وحاول ربطه بالفلسفة والأخلاق وحتى الدين أيضا.

يذكر "كونت" ستة علوم أساسية ويرتبها على هذا النحو: الرياضيات، علم الفلك، علم الطبيعة، علم الكيمياء، علم الحياة، علم الاجتماع، ويرى أن هذه العلوم مكتسبة بالاستقراء حتى الرياضيات... والاستقراء يعني دراسة الواقع للخروج بنتائج وقضايا نظرية وعلى هذا فإن الفلسفة الوضعية هي جملة العلوم الواقعية، ولقد توج كل العلوم بعلم الاجتماع، وهو علم يقوم على دراسة المجتمعات من الناحية الموضوعية والطبيعية ومن هنا يجب تطبيق المنهج الموضوعي على دراسة الظواهر الاجتماعية على أساس الملاحظة الموضوعية².

لقد أسس "أوجست كونت" علم الاجتماع وتوج به بقية العلوم ووضع له منهجا استقرائيا، أساسه الملاحظة، ويهتم هذا العلم بدراسة الظواهر الاجتماعية داخل المجتمع أي يهتم بالأمر الواقعية الملموسة فحسب.

¹ فاروق عبد المعطي ، أوجست كونت ،مؤسس علم الاجتماع الحديث ، ط1، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 1993 ،

ص ص 7-8

² فاروق عبد المعطي ، أوجست كونت، ص8

الفصل الأول الأخلاق في الفلسفة الوضعية

هذا العلم من إبداع "أوجست كونت" وقد خصص له ثلاث مجلدات من كتابه "دروس في الفلسفة الوضعية" وعرف بأنه: العلم الذي يتخذ له موضوعا هو ملاحظة الظواهر العقلية والأخلاقية التي بها تتكون الجماعات الإنسانية وتترقى، وكثيرا ما يسميه بالفيزياء الاجتماعية، أو علم الاجتماع الطبيعي، ليدل على منهجه الاستقرائي... كما انه تضمن مسائل جوهرية من علم النفس والاقتصاد السياسي والأخلاق وفلسفة التاريخ والعلم فيه لأجل العمل¹.

إن موضوع علم الاجتماع هو دراسة الظواهر العقلية والأخلاقية داخل المجتمع، لأنها الأساس الذي تقوم عليه الجماعات الإنسانية وتتطور وتترقى، وما يهمنا هنا هو نظرة "أوجست كونت" للأخلاق أو للفلسفة الأخلاقية من خلال علمه الوضعي أو فلسفته الوضعية باعتباره من أبرز رواد الوضعية ومؤسس علم الاجتماع الحديث.

لقد كان "أوجست كونت" حريصا على إصلاح المجتمع وتخليصه من عوامل الاضطراب والفساد، وذلك انه رأى المجتمع البشري في عصره يشمل الفساد في مختلف نواحي حياته، وأن السبب الرئيسي في فساد الأخلاق يرجع إلى فساد التفكير واضطراب طرق الفهم².

لقد وضع "أوجست كونت" نصب عينيه إصلاح أوضاع مجتمعه المزرية، خاصة بعد الثورة الكبيرة في فرنسا التي كانت كرد فعل مباشر على الاضطهاد من جهة والسلطة الممنوحة للكنيسة ورجال الدين من جهة أخرى، مما أدى إلى غلو الكنيسة كثيرا وفساد تعاليمها، هذا أدى في نظر "كونت" إلى فساد الأخلاق ثم فساد الأفراد وانحلال المجتمع.

¹ فاروق عبد المعطي ، المرجع نفسه ، ص ص9-10

² فاروق عبد المعطي ، أوجست كونت ، ص10

الفصل الأول الأخلاق في الفلسفة الوضعية

أما من جهة الطريقة التي يتحتم على علم الاجتماع استخدامها فيجب أن تكون قائمة على الملاحظة والاستدلال، وكان هذا الاتجاه مرتبط عند "كونت" بنظرية عامة للتطور الفلسفي، وتقرر هذه النظرية المعروفة تحت اسم "قانون الحالات الثلاث" أن الأفراد مروا عبر جهودهم المبذولة دائماً من الفهم والتفسير للعالم الذي يحيط بهم بثلاث اتجاهات متعاقبة¹.

- **الحالة اللاهوتية أو الدينية L'état théologique:** وهي الحالة التي كان فيها الإنسان يشرح الأشياء بإرجاعها إلى قوى غيبية أو سحرية مفارقة للشيء، ويظهر هذا التفكير في العهود القديمة التي كانت فيها الشعوب تخشى قوى الطبيعة وتضفي عليها نوعاً من الألوهية².

في هذه المرحلة كان الإنسان يعبد الإله المتجسد في الطبيعة وقواها، وتفسير كل ما يحدث بإعادته إلى الغيبيات والقوى المفارقة.

- **الحالة الميتافيزيقية: L'état Métaphysique:** وهي الحالة التي كان فيها الإنسان يشرح الأشياء بإضفاء عليها عبارات غامضة مجردة لا علاقة لها بالشيء مثلما كان يقال عن "البافو" الذي هو نبات مسكر أنه يحمل بداخله فضيلة النوم³.

وفي الحالة الميتافيزيقية حاول الأفراد أن ينتقلوا إلى مفاهيم أقل من المفاهيم الأولى والأسباب التي هي أكثر عمومية، حلت محل الأسباب الأولية، وفي حياة الدول نجد أن العقيدة أكثر استعلاء عن الحقائق التي يتحتم عليها أن تتطوي تحت مبادئ واضحة؛ مثل فكرة الحرية المطلقة وفكرة الفضيلة المتكاملة... الخ⁴.

¹ جاستون بوتول، تاريخ علم الاجتماع، ص 73

² أحمد ملاح، تاريخ الفلسفة الغربية، ص 131

³ أحمد ملاح، المرجع نفسه، ص 131

⁴ جاستون بوتول، تاريخ علم الاجتماع، ص 73

الفصل الأول الأخلاق في الفلسفة الوضعية

- الحالة الوضعية: **L'état positif**: وهي الحالة التي يضع فيها الإنسان القانون

العلمي الذي يربط بين مجموعة من الأشياء، وهذه الحالة هي التي يجب أن

تعوض الحالتين الأولتين¹.

تقوم المرحلة الوضعية على تفسير كل شيء تفسيراً علمياً، كما أنها ارتبطت بالعالم

المحسوس والملموس أي عالم الأشياء وليس عالم المثاليات.

والأخلاق عند "كونت" تقوم على العلم الوضعي وهي لذلك تحقق صفاته الأساسية

فهي حقيقية، ومعنى ذلك أنها تقوم على الملاحظة لا على الخيال، وتتنظر إلى الإنسان

كما هو كائن بالفعل، وليس كما تتصوره أن يكون، وهي تعتمد إذن على التجارب التي

أحرزتها الإنسانية عن طريق الميول التي سارت فيها والدوافع التي دفعتها لأنواع النشاط

المادي، وذلك من خلال القرون التي زودنا التاريخ بمعلومات عنها².

يرى "كونت" بأن الأخلاق تجمع بين الجانب العقلي والجانب العاطفي في الإنسان،

وهي تحركها عاطفة المودة وحب الغير المتبادل بين البشر أي العاطفة الاجتماعية على

حد تعبير "كونت"، كما تحكمها أيضاً فكرة الواجب التي تمتاز بالإلزام لكي يكون سلوك

الإنسان مضبوطاً وثابتاً، لأن الأخلاق مهمتها وضع ثوابت للسلوك الإنساني.

ثانياً: ليفي برون

فيلسوف فرنسي (1857-1939) ولد بباريس، اهتم بالمسائل المتعلقة بالأخلاق

والتاريخ والفلسفة، وعلى الرغم من تأثيره "بدوركايم" إلا أنه سلك في دراساته السوسيولوجية

¹ أحمد ملاح، المرجع نفسه، ص 131

² السيد محمد بدوي، الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، ص 159

الفصل الأول الأخلاق في الفلسفة الوضعية

طريقا خاصا به، كان ينظر إلى الأخلاق بأنها فن السلوك، فنا علميا عقليا...حيث يقول:
" ليس ثمة أخلاق نظرية بل يستحيل وجود أخلاق نظرية"¹.

واهم مؤلفاته كانت "فلسفة أوجست كونت 1900" والأخلاق وعلم العادات الأخلاقية
1903".

لم يختلف "ليني برول" عن "كونت" و "إميل دوركايم" في جعل الأخلاق علما قائما بذاته ويدرّس المجتمع والفرد على حد سواء، كما اعترض أيضا على الأخلاق القائمة على أسس لاهوتية أو دينية، وإنما الأخلاق عنده هي التي تقوم على أساس المجتمع، وقال بضرورة ربط الأخلاق بالعلم الطبيعي، ورأى بضرورة تطبيق المنهج التجريبي والاستقرائي على الأخلاق، أي تكوين علم الأخلاق الوضعي الذي يدرس عادات البشر السائدة في مجتمع ما وزمن معين من أجل ضبط المعطيات، ثم بعدها تحديد الثوابت التي تضبط السلوك الإنساني، أي وجب دراسة الأخلاق من خلال جمع المعطيات من عينات البحث ثم التوصل إلى النتيجة النهائية.

انطلق "ليني برول" في كتابه "الأخلاق وعلم العادات الأخلاقية" la moral et la science des mœurs، 1903م من وجهة النظر السوسيولوجية لينفي إمكانية وجود شيء من قبيل ما يقصده الفلاسفة بالأخلاق النظرية، أي علم قواعد للعمل والسلوك مبنية على طبيعة إنسانية متماثلة ومؤلفة كلا واحدا متساوقا؛ وعلى العكس من ذلك هناك أخلاق عملية يمكن للعلم أن يدرسها كما تدرس الواقعة؛ وإذا كان هذا العلم متقدما بما فيه الكفاية فثمة إمكانية لأن يضاف إليه فن عقلي يكون لعلوم العادات الخلقية كالتعبير عن الأخلاق.

¹ جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ص 609

² إميل برهيه، تاريخ الفلسفة الحديثة، ج7:ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، (د-

ت)، ص 269

الفصل الأول الأخلاق في الفلسفة الوضعية

لقد نظر "ليني برول" إلى الأخلاق من وجهة نظر سوسولوجية اجتماعية، واعترض على ما يسمى بالأخلاق النظرية التي تتصف بأنها كلية وواحدة، ويمكن تعويضها بالأخلاق العلمية التي ارتبطت بالعلم ويمكن دراستها دراسة علمية وواقعية، كما تدرس أي وقائع أخرى والعلم الحديث جدير بأن يفيد الأخلاق لأنه سيمكننا من إضافة فن عقلي للعادات الخلقية يكون بمثابة الطب لعلم الأحياء، أي يكون أسلوبا جديدا لدراسة الأخلاق والعادات الخلقية وبعيدا عن طريق التنظير.

لقد ناصر "ليني برول" المذهب الاجتماعي بكتبه الآتية: الوظائف الفكرية في المجتمعات الدنيا "1910"، والعقلية البدائية "1922"، والروح البدائية "1927"، والطبيعة في الفكر البدائي "1931"¹.

لقد اعتبر "ليني برول" الأخلاق علما وضعيا يهتم بدراسة العادات والتقاليد والشرائع وكل ما هو متعلق بأفعال جماعة بشرية داخل مجتمع معين و في زمن معين، يستخدم هذا العلم المنهج الاستقرائي والغرض من كل هذا هو الوصول إلى توجيهات تنفع وتساعد في رفع مستوى الأفراد والمجتمع، في الواقع العلمي المعاش والراهن.

في كتابه عن الأخلاق ينتقد الأخلاق النظرية، ويقترح بديلا لها علما للأخلاق ويرجع في نقده إلى ثلاثة أمور: الأول أن فلسفة الأخلاق تزعم أنها علم معياري يعين ما ينبغي أن تكون عليه الأفعال الإنسانية، في حين أن العلم دراسة وضعية للظواهر وقوانينها، ففكرة العلم المعياري تنطوي على تناقض².

الأمر الثاني أن الفلاسفة مختلفون في المبادئ متفقون مع ذلك في قواعد السلوك، وهذا يدل على أنه لا يوجد بين القواعد وبين المبادئ التي يدعون أنهم يستنبطونها منها

¹ يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، ص462

² يوسف كرم ، المرجع نفسه ، ص462

الفصل الأول الأخلاق في الفلسفة الوضعية

صلة منطقية، الأمر الثالث أن الفلاسفة يضعون قضيتين لا يمكن قبولهما: الواحدة أن هناك طبيعة إنسانية فردية واجتماعية، هي واحدة في كل زمان ومكان ومعلومة لهم إلى حد كبير يستطيعون أن يحددوا لها القواعد الملائمة لكل حالة من حالات الحياة¹.

والأخلاق الفلسفية -كما يقول "لوفي برول"- حين تهتم بتقرير ما يجب أن يكون، لا تنظر إلى الحقيقة الخلقية كما تنظر العلوم الطبيعية إلى الظواهر التي تبحث فيها، ولا يسمح لها هذا الموقف بأن تنصرف إلى الدراسة العلمية الدقيقة لما هو كائن بالفعل، وهو بحكم صفتها التقديرية أو المعيارية تتخذ كفاية لها توجيه سلوك الإنسان في اتجاه معين، أي أنها تريد أن تؤثر تأثيرا إيجابيا على الحقيقة الفلسفية... لكن من البديهي أنه كلما ازدادت معرفتنا بالأشياء الراهنة، ازدادت تبعا لذلك مقدرتنا على التأثير فيها بالتحسين والتعديل².

أكد "لوفي برول" أن الحقيقة الخلقية من وجهة نظر الأخلاق الفلسفية، تختلف تماما على الحقيقة الخلقية كما هو في العلوم الطبيعية، لأن هذه الأخيرة تنظر إلى ما هو كائن فعلا ولا تقوم بوضع التقارير لما يجب أن يكون مستقبلا لأنها دراسة آنية لحظية وفعلية، وهذا ما يمكن أن يفيد الإنسان ويوجه سلوكه توجيها صحيحا، كما أن تأثيرها على الحقيقة الفلسفية الكلية يكون تأثيرا إيجابيا، لأنه كلما تنوعت وتطورت معارفنا زادت قدرتنا وأثرنا الحسن على الحياة، وكل هذا قابل للتعديل مع تطور العلم وتغير الزمان والمكان أيضا، لأن هذا هو القانون الذي تخضع إليه الأخلاق الوضعية بصفة خاصة، والحقيقة في الفلسفة الوضعية بصفة عامة.

¹ يوسف كرم ، المرجع نفسه ، ص462

² السيد محمد بدوي ، الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، ص233

الفصل الأول الأخلاق في الفلسفة الوضعية

انطلق "لوفي برول" من أن الأخلاق الفلسفية قد قامت على فرضين هما: أن الطبيعة البشرية لا تتغير بتغير الزمان والمكان، وقد سمح هذا الفرض بالكلام على الإنسان كلاما عاما مجردا ليس له أي قيمة أو صيغة علمية... أما الفرض الثاني فهو أن الأخلاق الفلسفية تستتبط أحكامها من مبدأ واحد، أو على الأقل من عدد قليل من المبادئ، فهي تفترض أن محتويات الضمير الخلقى تكون مجموعة منسجمة وأن الأوامر التي يفرضها تحقق فيما بينها علاقات منطقية¹.

قررت الأخلاق الفلسفية أن الإنسان لا يغير طباعه وسلوكاته بمجرد تغير الزمان والمكان، أي أن الإنسان كيان ثابت عقلا وروحا وغير قابل للتبديل، أي صفاته وسلوكاته ثابتة ومنتكاملة، هذا الفرض يتكلم عن الإنسان كلاما عاما أو مجردا تجريدا كليا عن الواقع، وخال أيضا من التصورات العلمية الملموسة، وهذا ما اثبت أنه تصور خاطئ لأن الإنسان البدائي في العصور القديمة ليس نفسه إنسان العصور الوسطى، وليس نفسه إنسان العصر الحديث والمعاصر، أما في الفرض الثاني فإن الأخلاق الفلسفية تقوم على مجموعة من المبادئ الثابتة التي لا تتغير راسخة في الضمير الخلقى الإنساني، وهذان الفرضان قد انتقدهما "لوفي برول" في الأخلاق الفلسفية، معتقدا بأنه يمكن إثبات فساد هذه الأخلاق من خلال اللجوء إلى العلم الوضعي، من خلال الدراسة والبحث وتتبع مراحل تقدم الإنسان والأخلاق والضمير الخلقى أيضا منذ عصر الإنسان البدائي إلى غاية إنسان العصر الحديث، حيث أن الإنسان البدائي كان يفسر كل الأمور ويعلنها على أنها أمور خارقة للطبيعة ويرى بأن الأشياء تحدث بقدرات غيبية وهذا ما أدحضه العقل البشري والعلم الوضعي في العصور الحديثة.

لقد سلك "لوفي برول" مسلك سابقه، أي "كونت" و "دوركايم" فوحد بين الحقيقة الطبيعية والحقيقة الاجتماعية، فهما يتفقان من حيث كونهما موضوعين فيقول: "إن الفكرة

¹ السيد محمد بدوي ، المرجع نفسه ، ص ص 234-238

الفصل الأول الأخلاق في الفلسفة الوضعية

الجديدة عن العلاقة بين التطبيق العملي والنظرية في الأخلاق تتضمن أن هناك حقيقة اجتماعية موضوعية، كما أن هناك حقيقة طبيعية موضوعية، وأنه يجب على الإنسان إذا كان عاقلاً أن يسلك تجاه الحقيقة الأولى نفس المسلك الذي يتخذه حيال الحقيقة الثانية، ومعنى ذلك أنه يجب عليه أن يبذل جهده لمعرفة قوانينها حتى يسيطر عليها متى استطاع ذلك"¹.

إن الحقيقة الطبيعية والحقيقة الاجتماعية متشابهتان عند "لوفي برول" لأن كليهما: أولاً مرتببتان بالإنسان، وموضوعيتين أيضاً، فهما بمثابة جانبا الأخلاق التطبيقي والنظري، لذا وجب على الإنسان أن يكون على يقين بكليهما حتى يتمكن من السيطرة على الحقيقة الكلية.

ومع إقراره بأن العلوم الاجتماعية مازالت شديدة النقص وأنها في مراحلها الأولى، إلا أنها ستوقفنا على "الطبيعة الاجتماعية" وأهميتها، وسيكون لها آثارها الأسمى من "العلم الخلقى" ومن "مملكة الغايات"، ومن "مدينة الله" أي أسمى من تلك الأفكار الخيالية المكررة التي تناقلها علماء اللاهوت والفلاسفة².

وانتهى "لوفي برول" إلى أن الأخلاق مظهر للجماعة تابع لماضيها وديانيتها وعلومها وفنونها وعلاقاتها بالجماعات المجاورة وحالتها الاقتصادية؛ وإن فالأخلاق تختلف باختلاف الجماعات وأحوالها والأخلاق جميعاً طبيعية: سواء في ذلك أخلاق الأقباط المنحطة وأخلاق الأمم المتمدنة، ولما كانت الجماعات لا تستقر على حال واحدة، فيلزم أن أخلاقنا متطورة حتماً بتطور العوامل الاجتماعية، وفائدة علم الأخلاق إن يسمح لنا

¹ مصطفى حلمي، الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2004، ص79

² مصطفى حلمي، الأخلاق بين الفلاسفة و علماء الاجتماع، ص79

الفصل الأول الأخلاق في الفلسفة الوضعية

بتكوين "فن خلقي" أي جملة من القواعد تعالج بها أحوالنا دون أن يكون لهذه القواعد صفة الإلزام، ودون أن يكون لأفعالنا قيمة ذاتية يعبر عنها بالخير والشر¹.

¹ يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص ص 462-463

الفصل الثاني

الفصل الثاني أنموذج دوركايم

الفصل الثاني: أنموذج دوركايم

المبحث الأول: مدخل عام

أولاً: لمحة عن إميل دوركايم

1- حياته: إميل دوركايم Emile Durkheim عالم اجتماع فرنسي (1858- 1917

)¹، ولد في مدينة "أبيينال" بمقاطعة اللورين في الجنوب الشرقي من فرنسا، من والدين يهوديين.

نشأ "دوركايم" نشأة دينية واصل طريق أبيه وأجداده فدرس العبرية، والعهد القديم والتلموذ في الوقت الذي واصل فيه دراسته المنظمة في المدارس العلمانية.

اهتم "دوركايم" بمعالجة المشكلات الخلقية التي كان يعج بها المجتمع الفرنسي آنذاك، وتطلع إلى إيجاد علم يمكن على ضوئه حل هذه المشاكل بطريقة علمية، فصب اهتمامه على الدراسات الاجتماعية كما درس الاقتصاد والانثروبولوجيا الثقافية².

تأثر "دوركايم" بالغ الأثر بفلاسفة عصر التنوير من أمثال: جون جاك روسو، ومونتيسكيو، فضلاً عن سان سيمون الذي عده أستاذه في علم الاجتماع³.

كما تأثر بكتابات وتعاليم عالم الاجتماع الفرنسي "أوجست كونت" فقد استعار منه عدة مفاهيم اجتماعية استطاع تطويرها واعتمادها في نظريته الاجتماعية الجمعية، كمفهوم الوضعية positivisme، ومفهوم الاجتماعية sociologisme، إلا أن الفارق الرئيسي بين كل منهما هو أن "أوجست كونت" قد ركز اهتمامه على مشكلات التغيير والديناميكية

¹ أحمد ملاح ، تاريخ الفلسفة الغربية من طاليس إلى باشلار ، ص133

² نيقولا تماشيب ، نظرية علم الاجتماع : ترجمة محمود عودة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1990، ص 169

³ الحسن إحسان محمد ، المدخل إلى علم الاجتماع ،(د،ط) دار وائل للنشر و التوزيع ، عمان ،2006، ص151

الفصل الثاني أنموذج دوركايم

الاجتماعية في حين ركز "دوركايم" اهتمامه على دراسة المشكلات السكنوية للبناء الاجتماعي والسيطرة الاجتماعية¹.

كما أن "دوركايم" لا يتردد في أن يعترف بفضل "كونت" في إنشاء علم الجماعات الوصفي، لأنه بفضل "كونت" أصبح علم الاجتماع عاملاً في الحياة العلمية².

لقد كان "دوركايم" ذو نزعة وضعية عمل على مواصلة عمل أستاذه "كونت" في وضع قواعد علم الاجتماع أراد أن يجعل من علم الاجتماع علماً طبيعياً مستقلاً بذاته بعيداً عن كل التغيرات الميتافيزيقية والغائية، هدفه الكشف عن العلاقات الثابتة بين الظواهر.

يتبين هنا أن "دوركايم" قد سار على خطى أستاذه "أوجست كونت"، في دراسته للظواهر الاجتماعية إلا أن "دوركايم" قد أضاف الكثير إلى هذه الدراسة، وامتناز بحفاظه على معنوية الأخلاق ولم يكن وضعياً بحثاً كما أنه قد أتم وضع منهج في علم الاجتماع ولذلك اعتبر هو مؤسس علم الاجتماع.

2- مؤلفاته:

لقد ترك دوركايم جملة من المؤلفات أهمها:

¹ عبد الباسط عبد المعطي ، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع ، 1981 ، ص ص 112-113

² جورج بينروي ، مصادر وتيارات الفلسفة في فرنسا : ترجمة عبد الرحمان بدوي ، ج 1 ، ص 137

الفصل الثاني أنموذج دوركايم

- 1- تقسيم العمل الاجتماعي (1893).
- 2- قواعد المنهج في علم الاجتماع (1895).
- 3- الانتحار، دراسة اجتماعية (1897).
- 4- الأشكال الأولى للحياة الدينية (1912).
- 5- المجلة الاجتماعية المعروفة باسم السنة الاجتماعية أو التقويم الاجتماعي.
- 6- التربية الأخلاقية.
- 7- علم الاجتماع والفلسفة.

ثانياً: الظاهرة الاجتماعية

لم يفرق "أوجست كونت" مؤسس الوضعية بين الظاهرة الاجتماعية والظاهرة الفيزيائية، كما انه قد حول المنهج الفيزيائي إلى منهج اجتماعي ظناً منه أنهما متشابهان.

الفصل الثاني أنموذج دوركايم

أما "دوركايم" كان على العكس من ذلك، كما أن أسس المنهج في علم الاجتماع كانت من تدبيره، وبين أن الظاهرة الاجتماعية إنما تتميز عن الظاهرة الفيزيائية بوصفها ظاهرة لها من الخصائص النوعية التي تجعلها تنفرد بالتغيرات التي تلحقها عبر التغيرات التي تعرفها المجتمعات¹.

يقول "دوركايم": إن الناس لا يستخدمون كلمة اجتماعي دون كثير من الدقة، فهم يستخدمون هذا اللفظ عادة للدلالة تقريبا على جميع الظواهر التي توجد في المجتمع لا لسبب، إلا أنها تتطوي بصفة عامة على بعض الفوائد الاجتماعية، ولكن يمكننا القول بناء على ذلك بأنه ما من حادثة إنسانية إلا ويمكن أن يطلق عليها اسم الظاهرة الاجتماعية².

يتضح هنا أن الظاهرة الاجتماعية ليست تلك الأمور والوظائف التي يقوم بها الأفراد عادة، بل هي أكثر دقة وانضباط، كما أنها مرتبطة بعدة قواعد مضبوطة، إضافة إلى أن الظاهرة الاجتماعية تؤثر في الفرد وتوجه سلوكه على غير إرادة منه، بل لا يمكن مقاومة تأثيرها وهي تخضع لقوانين علمية كالظواهر الطبيعية .

يقول "دوركايم": "كل الظواهر الاجتماعية هي ضروب من السلوك والتفكير، لا توجد خارج شعور الفرد فقط، بل أنها تمتاز أيضا بقوة آمرة قاهرة هي السبب في أنها تستطيع أن تفرض نفسها على الفرد أراد ذلك أم لم يرد حتى أنني لا اشعر به حين استسلم له بمحض إرادتي"³.

¹ أحمد ملاح ، تاريخ الفلسفة من طاليس إلى باشلار ، ص 134

² إميل دوركايم ، قواعد المنهج في علم الاجتماع : ترجمة محمود قاسم ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1988 ، ص 50

³ إميل دوركايم ، قواعد المنهج في علم الاجتماع ، ص 52

الفصل الثاني أنموذج دوركايم

إن الظاهرة هي: كل ضرب من السلوك ثابتا كان أو غير ثابت يمكن أن يفرض نوعا من القهر الخارجي على الأفراد أو هي كل سلوك يعم على المجتمع بأسره، وكان ذا وجود خاص مستقل عن الصور التي يشكل بها في الحالات الفردية.

يقول "دوركايم" أيضا: إن القهر خاصية تتميز بها الظواهر الاجتماعية، ويدل على ذلك أن هذا القهر يؤكد وجوده بقوة متى حاولت مقاومته، وإذا حاولت خرق القواعد القانونية فإنها تتصدى لمقاومتي بصور مختلفة¹.

يتضح هنا أن أبرز صفة تتصف بها الظاهرة الاجتماعية، هي أنها نفرض نفسها على الأفراد قهرا وليس طواعية أو مراعية لآرائهم الشخصية أو ميولاتهم الفردية الذاتية، أي أن الفرد لا يملك إلا أن ينقاد كغيره من أفراد المجتمع الواحد لتقبل الظاهرة الاجتماعية السائدة في زمنه.

والمقصود بالظاهرة الاجتماعية هي كل أنحاء الفكر والعاطفة والعمل الصادرة عن الناس بما أنهم أعضاء المجتمع، مثل الأخلاق والأديان والأنظمة السياسية والقوانين المدنية والتقاليد القومية والبدع الفنية والنظريات العلمية، وما إلى ذلك من مظاهر الحياة الإنسانية، هذه المظاهر الاجتماعية بالذات يجدها كل فرد قائمة في بيئته ويتأثر بها تأثرا قويا بواسطة فعل التربية وضغط المجتمع².

إن الظاهرة الاجتماعية ليست مجزئة، ولا توجد في أجزاء المجتمع أي الأفراد وإنما وجدت جراء اجتماع الأفراد في نفس المجتمع، وهذا الاجتماع فرض مجموعة من الظواهر الاجتماعية والتي من الواجب تتبعها و قبولها .

¹ إميل دوركايم، المصدر نفسه، ص ص52-68

² يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص ص459-460

الفصل الثاني أنموذج دوركايم

وأشار "دوركايم" إلى أن الظاهرة الاجتماعية كونها تمتاز بالقهر هي تمتاز بالموضوعية كذلك كما في قوله: "حقا أن انفصال الظاهرة الاجتماعية عن تجسدها الفردية لا تبدو دائما بمثل هذا الوضوح ولكنه يكفي أن يتحقق ذلك بصفة أكيدة..."¹.

ويقول "دوركايم" أيضا: "إن شعور الفرد ليس المنبع الذي تفيض منه موجات الحماسة أو السخط أو الشفقة التي تحتاج إحدى الجماعات وإنما تأتي هذه الظواهر من الخارج، فنتسرب إلى شعور كل فرد منا، وإن من استطاعتها أن تجربنا خلفها على الرغم منا"².

إضافة إلى صفتي القهر والموضوعية توجد صفة العموم، لأن الظاهرة الاجتماعية نجدها مباشرة في المجتمع، ويمكن أن تتكرر مع مرور بعض الوقت كما أنها تدخل في تركيبها كل عقائد وميول وعادات الجماعة برمتها.

المبحث الثاني: مذهبه الأخلاقي

أولا: عناصر الحياة الأخلاقية

يرى "دوركايم" أن الأخلاق في مجموعها قواعد محددة ينبغي على الأفراد أن تكون أفعالهم مطابقة لها .

¹ إميل دوركايم، قواعد المنهج في علم الاجتماع ، ص59

² إميل دوركايم، المصدر نفسه ، ص55

الفصل الثاني أنموذج دوركايم

يقول "دوركايم": "إن الأخلاق هي عبارة عم مجموعة من القواعد العملية التي تحدد سلوكنا، وتعين لنا كيف يجب أن نفعل في الحالات المختلفة التي تعرض لنا، فلكي تضمن لتصرفاتك السداد يجب أن تعرف كيف تطيع"¹.

يؤكد "دوركايم" أن القواعد الأخلاقية مهمتها تنظيم سلوكيات الأفراد، وترسخ هذه القواعد في مجتمع ما عن طريق التربية لأنها انسب طريقة لجعل الأفراد منساقين للقانون الأساسي للمجتمع.

إن الخير والشر أو ما هو أخلاقي أو لا أخلاقي في مجتمع من المجتمعات هو بمثابة ما يسمى بالعادي normal واللاعادي anormal، ويقصد بالعادي ما يتفق والشروط العامة للحياة الاجتماعية، وأما اللاعادي أو المرضي فهو الذي يتعارض وهذه الشروط، وقد يكون اللاعادي في بعض الحالات من بقايا الماضي كأن نجد ظاهرة العبودية أو وأد البنات في مجتمع من المجتمعات².

إن السلوكيات الفردية التي تتفق والشروط العامة للحياة الاجتماعية هي أخلاقية بالضرورة وأما السلوكيات التي لا تتماشى مع حركية المجتمع والتي هي ربما امتداد لعادات سادت في زمن ماضي مخالف للزمن الحاضر، كوأد البنات مثلا الذي كان عادة في العصر الجاهلي، تصبح الأمور لأخلاقية أو حالات مرضية في المجتمع الحديث لان شروط الحياة الاجتماعية الحديثة مخالفة تماما لذلك الزمن .

إن المعايير الأخلاقية هنا هي معايير عرفية يساندها الرأي العام من جهة، والعقوبات الشديدة التي تقع على من يخرق هذه المعايير من جهة أخرى، غير انه يؤخذ على هذه

¹ إميل دوركايم، التربية الأخلاقية : ترجمة السيد محمد بدوي ، ط1 ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، 2015 م، ص

الفصل الثاني أنموذج دوركايم

المعايير أنها صارمة لا تعبأ بالظروف الفردية، ولا تقيم كبير وزن للفروق الفردية ولا تدع للحرية الفردية إلا حيزاً ضئيلاً لا يكاد يذكر¹.

فلكل شعب قواعد خلقية تسود في حقبة معينة من الزمن، وباسم هذه القواعد التي تسود فيه تصدر المحاكم أحكامها ويظهر الرأي العام سخطه أو رضاه، وعلى ذلك يمكن القول إن هناك أخلاقاً عامة يشترك فيها جميع الأفراد الذين ينتمون إلى مجتمع معين².

تمتاز الأخلاق أو القاعدة الأخلاقية عند "دوركايم" بأنها قهرية إلزامية بمعنى أنه لا خيار للفرد في قبوله أو رفضه، لأنه لا بد من أن تمتلك الأخلاق الاجتماعية سلطة القهر على الأفراد، فالقواعد الأخلاقية لم تكن مجرد تسمية أخرى تطلق على عادات باطنة، مادامت تحدد السلوك من الخارج بطريقة آمرة، لذا وجب تنشئة الفرد وتربيته على الممارسات الأخلاقية، ولكي يقبل سلطة المجتمع كذلك.

يقول "دوركايم": "ولكن الاختلاف والحيرة لا يكونان إلا على اختيار القاعدة الصحيحة التي يمكن أن تنطبق على الحالة التي نحن بصدددها وعلى كيفية تطبيقها بطريقة حرفية أو آلية على كل حالة خاصة تعرض لنا، ويتعين على كل منا إذا أراد أن يكون عمله خلقياً أن يطبق هذه القاعدة العامة على حالته الخاصة، فهناك دائماً نطاق متروك للتدبير الخاص ولكن هذا النطاق محدود..."³.

تمتاز القاعدة الأخلاقية عند دوركايم بمجموعة من الصفات

1 - صفة الإلزام :

¹ وليام ليلي، مقدمة في علم الأخلاق : ترجمة عبد المعطي محمد ، منشأة المعارف الإسكندرية ، 2000 م، ص 75

² السيد محمد بدوي ، الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، ص 178

³ إميل دوركايم: التربية الأخلاقية، ص 24

الفصل الثاني أنموذج دوركايم

يقول "دوركايم": إن القاعدة ليست مجرد القيام بعمل معتاد ، و لكنها تدفعنا إلى تصرف بطريقة خاصة نشعر معها أننا لسنا أحرارا في تغييرها حسب أهوائنا ، فهي إلى حد ما ، ويقدر ما نشعر من قوتها بصفتها قاعدة تخرج عن نطاق إرادتنا ، والواقع أن فيها شيئا يقاومنا، ويتخطانا، ويفرض نفسه علينا بل ويجبرنا جبرا...¹.

إذن القاعدة الأخلاقية تحتوي في طياتها على السلطة والجبر، وبما أنها خارج الفرد أي ليست من وضعه هو ، فالفرد هنا لا يستطيع أن يفهمها إلا على أنها أمر أو نصيحة أو إلزام خارجي وجب تطبيقه وإتباعه فحسب.

قواعد الأخلاق تفرض على الأفراد داخل نطاق مجتمع معين وهم مجبرون على التزام هذه القواعد حتى ولو لم ترق لهم، الم تنشأ هذه القواعد لتنظيم علاقات الأفراد دون النظر إلى أهوائهم الشخصية؟ ولا يستطيع الأفراد الانحراف عن القواعد التي رسمها لهم المجتمع إلا في حالات شاذة وهذا الانحراف من شأنه أن يחדش ضمير المجتمع.²

إن ابرز صفة للقاعدة الخلقية أو الأخلاقية هي صفة الإلزام الخلقية، وذلك من اجل جعل الفعل الفردي خلقية، لكن هذا لا يؤدي إلى تحقيق الغاية المنشودة دون أن تكون للإنسان رغبة داخلية في أن يجعل فعله أخلاقيا أو خيرا .

2 - الرغبة لفعل لخير :

لا يمكن أن يتجرد الإنسان كليا من فرديته لأن هذا مستحيل لذا وجب على الفرد أن يتحلى بصفة القابلية للالتزام الأخلاقي، أو لفعل الخير أو لقابلية القاعدة الأخلاقية وذلك من خلال الضمير الفردي الذي هو انعكاس للضمير الجمعي.

¹ إميل دوركايم: المصدر نفسه ،ص 31

² السيد محمد بدوي ،الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع ، ص142

الفصل الثاني أنموذج دوركايم

و الفعل الخلقى حسب "دوركايم"، يجب أن يهدف إلى غاية غير ذاتية يعمل على تحقيقها بحيث تمتلك هذه الغاية الإنسان ، فيتجه إليها بكل رغبته ، وبذلك نصل إلى أن القاعدة الخلقية عند "دوركايم": " تتألف من عنصري الرغبة ، والالتزام معا ، فليس هناك عمل نقوم به عن طريق الواجب البحت بل يجب أن يظهر هذا العمل أمام أعيننا ، وفي ضميرنا عملا طيبا ، ولذلك فإن القواعد الأخلاقية تتميز بالالتزام الذي يصدر عن المجتمع ، كما تمتاز بأنها تجتذب الفرد لأنها تصور له المثال الأعلى الذي يتوق إلى تحقيقه"¹.

لا يكفي أن يلزم الفرد بإتباع القاعدة الأخلاقية لان هذا واجبه فحسب ، بل إنها تتماشى مع رغبته الداخلية الدافعة لفعل الخير وتحاكيها ، أي الفرد يقبل القاعدة الأخلاقية أو الإلزام الخلقى بمحض إرادته وبرغبة ملحة منه .

و ترتبط الرغبة المتصلة بالحياة ارتباطا وثيقا بصفة الإلزام، وهي لا تشبه في شيء الرغبة المتعلقة بالأشياء المادية ، فاندفاعنا وتعلقنا بالفعل الخلقى يصطحبان دائما بشيء من الجهد والعناء وحتى إذا قمنا بالفعل الخلقى في حرارة وحماس فإننا نشعر بأننا نتحكم في أنفسنا ، وبأننا نعلوا فوق طبيعتنا العادية ، وفي ذلك ما فيه من القهر ، ففكرة السعادة حين نقوم بعمل خلقى ، وفكرة الإلزام تتداخل كل منهما في الأخرى ، ونحن نجد لذة في أداء عمل خلقى تأمرنا به القواعد الخلقية ، ومصدر هذه اللذة هو الخضوع لذلك الأمر : ونشعر بسرور من نوع خاص حين نؤدي واجبنا لا لشيء إلا لأنه واجب².

إن صفتي الإلزام و الرغبة في فعل الخير هما أبرز صفتين للقاعدة الخلقية و الأصلح لها ، ولا تخلو أي قاعدة خلقية منهما ، وبما أن الإلزام هو سلطة يمارسها المجتمع على

¹ قباري محمد إسماعيل ، علم الاجتماع والفلسفة ، ط1، دار المعرفة الجامعية ، 1989م، صص 54-55

² السيد محمد بدوي ، الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، ص183

الفصل الثاني أنموذج دوركايم

الفرد ، بواسطة القواعد الخلقية ، والرغبة في فعل الخير مرتبطة بضمير الفرد اتجاه السلطة ، لأنه ربما يقوم الفرد بأفعال بدافع الحماس وحده ، أو ربما يعود إلى العامل الديني كذلك ، وهنا يحدث عدم امتزاج بين الإلزام و الرغبة الخيرة ، إضافة إلى عامل اختلاف الأزمان ، ففكرة الخير في العصور القديمة تختلف عن فكرة الخير في العصور الحديثة و المعاصرة .

وأخيرا فإن علاقة هذين العنصرين تختلف في عصر واحد باختلاف الأفراد أنفسهم ، و من النادر أن يتوازن العنصران في ضمير الفرد ، ويشبه " دوركايم " ، ذلك بظاهرة عمى الألوان daltonisme ، فيقول: إن لكل ضمير نوعا " من العمى الخلقى " فمن الضمائر ما ينظر إلى الفعل الخلقى على أنه شيء مرغوب فيه ، ومنها ما يشعر شعورا قويا بفكرة القاعدة و النظام ولا يفهم الحياة الخلقية إلا أنها تتيح له حياة منتظمة تسير وفق قواعد محكمة¹.

إن الضمائر الفردية عند " دوركايم " يجب أن تكون انعكاسا للضمير الجمعي ، لأنه من الخطأ حسب اعتقاده أن ندرس الأخلاق دراسة فردية ذاتية ، لأنه هناك ضمائر فردية تخلو من مميزات ومظاهر الحياة الخلقية ، أو لا تفهمها أو ربما لا تطبقها .

لما حدد " دوركايم " القاعدة الأخلاقية وبين مميزات ودورها في تكوين الحياة الأخلاقية داخل المجتمع، وفي تحليله للحقيقة الأخلاقية بين لنا عناصرها الأساسية بطريقة موضوعية.

لقد جعل " دوركايم " من المجتمع مصدر لكل حياة أخلاقية، بل مصدر كل خير يتمتع به الفرد وبذلك تحول مذهبه العلمي في دراسة الظواهر الأخلاقية إلى ما يشبه المذهب الفلسفي، الذي يقول بالاحتمية الاجتماعية،و الذي كاد أن يجعل من المجتمع دين للفرد².

¹ السيد محمد بدوي ،الأخلاق بين الفلسفة و علم الاجتماع، ص 185

² السيد محمد بدوي ،المرجع نفسه،ص187

الفصل الثاني أنموذج دوركايم

يعتقد "دوركايم" أن المجتمع هو المصدر الوحيد للأخلاق على غرار غيره من الفلاسفة فمنهم من أحالها إلى الدين، ومنهم من أحالها إلى العقل وآخرون إلى المنفعة والفائدة، لقد رأى في المجتمع السلطة العليا المستقلة عن الفرد ، وهي التي تحدد أفعال الأفراد وتحكم عليها بالصح والخطأ ، وما حرمة المجتمع فهو حرام وما أباحه المجتمع فهو مباح أي أصبح كل شيء يفسر تفسيراً اجتماعياً بحتاً.

وإذا كان الدين من صنع المجتمع فهو يتمثل في التمييز بين المقدسات التي يتوجب احترامها والمباحات التي يسمح باقترافها، ولهذا السبب فإن الشعور الديني هو في الأصل كما قال عنه "كونت" عبادة للمجتمع وعلى أساس هذا القول يعتقد "دوركايم" أن الدين هو أولى الظواهر الاجتماعية¹.

أي بعدما اجتمع الأفراد جميعاً وكونوا مجتمعاً، أدى هذا الاجتماع إلى ظهور قواعد ومبادئ أو ما يسمى بالعادات والتقاليد، وهي بمثابة الدين الاجتماعي لهم وهي الموانع والمحرمات والمباحات كذلك، كما أنها تمثل بعض مظاهر الحياة الاجتماعية إلى جانب الأخلاق و النظام .

و الأخلاق عند "دوركايم" متعلقة بجماعة مؤلفة من عدد من الأفراد يرتبط بعضهم ببعض ، أي أنهم يكونون فيما بينهم مجتمعاً : "على شرط أنه يمكن مع ذلك ، أن ينظر إلى هذا المجتمع ، باعتباره شخصية تختلف كيفياً ، عن الشخصيات الفردية ، التي

¹ أحمد ملاح، تاريخ الفلسفة الغربية من طاليس إلى باشلار ، ص135

الفصل الثاني أنموذج دوركايم

يتألف منها ؛ أي أن الأخلاق تبدأ على هذا الاعتبار حيثما يبدأ الترابط في الجماعة أيا كانت هذه الجماعة¹.

عند اجتماع الأفراد تحت إطار الجماعة الواحدة ، أو المجتمع الواحد ، تخلق القواعد الأخلاقية باعتبارها تتبع عن الاجتماع البشري ، تتجسد في الترابط بين أفراد الجماعة الواحدة .

¹ إميل دوركايم ، علم الاجتماع والفلسفة : ترجمة حسن أنيس ، ط1 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1966 م ، ص

و الحياة الأخلاقية عند "دوركايم" تتكون من ثلاثة عناصر : روح النظام ، التعلق بالجماعة ، واستقلال الإدارة .

العنصر الأول : روح النظام

الأخلاق تحدد الأفعال الإنسانية وتثبيتها و تنظمها ، وبهذا كانت تفرض لدى الفرد ميلا معيناً إلى أن يحيا حياة منتظمة ، وتتطلب لديه حبا خاصا للنظام ، فالواجب منتظم ، إذ أنه يتكرر دائما كما هو ، باطراد و تجانس تام ، و الواجبات لا يؤدي بأفعال مفاجئة و مباغته، تتم في فترات متباعدة ، كنوبات منقطعة و إنما الواجبات الحقيقية يومية يكررها المجرى الطبيعي للحياة في فترات دورية منتظمة¹.

وهناك صفة عامة نلاحظها في الأفعال التي نسميها أخلاقية ، وهي أنها جميعا تخضع لقواعد ثابتة اصطلح عليها المجتمع وأقرها ، فالسلوك الخلقي معناه السلوك وفق مقياس أو قاعدة ، ومجال الأخلاق هو مجال الواجب ، و الواجب هو العمل الذي يفرض علينا ، وكما أن تصرفا ما لا يعد جرما إلا إذا حرمه قانون معمول به ، فكذلك لا يعد تصرف ما غير أخلاقي إلا إذا خدش قاعدة أخلاقية مقررة².

إننا بملاحظة الأخلاق و القواعد الأخلاقية داخل المجتمع ، نستنتج أنها تحوي في طياتها القانون أو النظام ، فالفرد بإتباعه للقاعدة الأخلاقية يكون قد سار وفق النظام أو القانون ، وشذوذه عنها يعد اختراقا للقانون أي أن الفرد من خلال التربية الأخلاقية لا

¹ إميل دوركايم، التربية الأخلاقية ، ص34

² السيد محمد بدوي، الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، ص 190

الفصل الثاني أنموذج دوركايم

يصبح فردا أخلاقيا فحسب وإنما مواطنا محترما للقانون ومنساقا لروح النظام كذلك ، ومادما نخضع في تصرفاتنا لقواعد خلقية ، فإن ذلك يؤدي إلى القول بأن السلوك الأخلاقي في ذاته يتضمن فكرة الطاعة أو الخضوع للنظام ، وتعتبر القواعد الأخلاقية حقيقة راسخة في المجتمع ، بما أنها تضبط سلوك الأفراد و تحدد لهم طريقة حياتهم ، فهي تحدد العلاقة بين الزوج و زوجته مثلا ، و العلاقة بين أفراد الأسرة الواحدة كعلاقة الآباء و الأبناء ، وعلاقة أفراد الأسرة بغيرهم من المواطنين داخل المجتمع الواحد .

وبما أن القواعد الأخلاقية ارتبطت بالقانون فإن هذا الأخير يحدد عقوبات معينة لمن يتعدى على هذه القواعد ، وهناك تجاوزات فردية يستهجنها الضمير العام ، المتمثل في : العرف و التقاليد والعادات، أي أن الأفراد في حياتهم الاجتماعية ، يخضعون لقواعد أخلاقية معينة ، وإذا تجاوزوها تعرضوا لعقوبات أخرى مباشرة ، يطبقها القانون ، وأخرى غير مباشرة ترتبط بالضمير الجمعي أو الضمير العام ، المتمثل في العادات والأعراف.

وإذا كانت قواعد الأخلاق تحدد سلوك الإنسان فمعنى ذلك أيضا أنها تنظمه : وإذن فتتظيم السلوك وبث روح النظام ووظيفة أساسية من وظائف الأخلاق ، فغير المنظمين ومن لا يستطيعون أن يخضعوا تصرفاتهم لقواعد محددة يتساوون أمام الرأي العام من حيث النظر إلى حاستهم الخلقية بعين الشك و الريبة ، والذين لا ينتظمون في أداء وظائفهم ولا تتكون لديهم عادات منتظمة يتصفون بعدم الثبات و القلق¹.

يقول "دوركايم " : "الحق أن النظام الأخلاقي إنما يوجهنا نحو هذه السيطرة على النفس بالذات ، فهو الذي يعلمنا كيف نسلك على غير ما نرغب دوافعنا الباطنية ، ولا تدع نشاطنا ينساب من مجراه الطبيعي إنه ليعلمنا كيف نسلك بمجهود ، إذ أن كل فعل أخلاقي يتضمن مقاومة نبديها لميل معين ، وكبتنا لشهوة ما ، وتقويدا لنزوع خاص ،

¹ السيد محمد بدوي ، الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع،ص192

الفصل الثاني أنموذج دوركايم

ولكن لنلاحظ في الوقت نفسه أنه لما كان في كل قاعدة عنصر ثابت لا يتغير ، يجعلها بمأمن عن النزوات الفردية ، ولما كانت القواعد الأخلاقية أكثر ثباتا من كل ما عداها ...¹ .

إن الأخلاق في أساسها نظام ينسق و ينظم سلوك الفرد ، ويضع له هدفا معيناً ، وغاية محددة ، مما يؤدي إلى تنظيم العلاقات بين الأفراد ، مما يؤدي بدوره إلى حياة اجتماعية منظمة ومنسقة ، و على الرغم من أن تقييد الأفراد بمجموعة من القواعد و القوانين يحد من حريتهم ، إلا أنه يضمن سلامة أخلاقهم وسعادتهم أيضاً ، من خلال انسجامهم مع بيئتهم .

فللخضوع للنظام إذن فائدته لا من أجل صالح المجتمع فحسب ، وليس فقط بوصفه وسيلة لا غنى عنها ولا يتم بدونها تعاون منتظم ، وإنما من أجل صالح الفرد أيضاً ، فبه نعتاد الاعتدال في رغباتنا ، وهو الاعتدال الذي لا يمكن أن يشعر المرء بالسعادة بدونه ، ومن هنا فإن له دور كبير في تكوين أهم ما يتصف به الإنسان ، ألا وهو شخصيته ... والخضوع للنظام الأخلاقي ، وهو الشرط الضروري لظهور الإرادة الشخصية المفكرة ...² .

العنصر الثاني : التعلق بالجماعة :

إن العنصر الأول المكون للحياة الأخلاقية و المتمثل في روح النظام ، يحتوي نوعاً ما على التقييد للطبيعة البشرية واندفاعها .

¹ إميل دوركايم، التربية الأخلاقية ، ص47

² إميل دوركايم، المصدر نفسه ، ص49

الفصل الثاني أنموذج دوركايم

يقول " دوركايم": " لقد رأينا كيف أن هذا التقييد شرط لسلامتنا الأخلاقية ولسعادتنا ، فالإنسان إنما خلق ليحيا في بيئة لها حدودها وقيودها مهما كان اتساعها ، وإن هدف مجموع الأفعال التي تكون الحياة هو أن تجعلها تتسجم مع هذه البيئة ، أو تجعلها تتسجم معنا ، وعلى ذلك فإن النشاط الذي يطلب منا لابد أن يكون له مثل هذا التحدد ، والحياة هي أن ننسجم مع العالم المادي الذي يحيط بنا ، ومع العالم الاجتماعي الذي نندمج فيه كأعضاء"¹.

يتضح هنا أن الإنسان عليه أن ينسجم مع مجتمعه ومع محيطه ومع الأفراد كذلك ، لكي يضمن سعادته وسلامته ، لذا وجب على السلوك الفردي أن يكون أكثر انسجاما و انضباطا ونظاما وهذا لن يحدث إلا في إطار تطبيق القواعد الأخلاقية ، وذلك لكي لا يضيع النشاط الإنساني داخل المجتمع سدا ، فالخضوع للنظام مفيد لصالح المجتمع من جهة وصالح الفرد من جهة أخرى ، لأنه يتضمن له الاعتدال، والاعتدال من شأنه أن يحقق السعادة .

وبما أن الاجتماع بين الأفراد أدى إلى حياة اجتماعية ، والحياة الأخلاقية لا تكون إلا داخل المجتمع ، هذا يؤكد أن الأفراد ليسوا كائنات أخلاقية بقدر ما هم كائنات اجتماعية.

وليس هناك وراء الأفراد سوى الجماعات التي تنشأ عن اتصالهم أي المجتمعات، وعلى ذلك فالغايات الأخلاقية هي التي تتخذ من "المجتمع" هدفا ، والسلوك الأخلاقي هو السلوك الذي يهدف لصالح جماعي ، ويعني "دوركايم" بكلمة " مجتمع "كل جماعة إنسانية ، سواء في ذلك الأسرة أو الموطن أو الإنسانية².

¹ إميل دوركايم: التربية الأخلاقية ،ص50

² السيد محمد بدوي ، الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع،ص210

الفصل الثاني أنموذج دوركايم

وتبين لنا بوضوح ، انه لا يوجد وراء الفرد سوى كائن واحد نفسي أواذا شئنا كائن واحد معنوي يمكن ملاحظته تجريبيا ، ويمكن أن تتعلق به إرادتنا وهو المجتمع، على انه لا بد - من اجل ذلك- أن تتوافر في المجتمع شروط عديدة ،وأول هذه الشروط هو أنه يجب بالضرورة ألا يؤول المجتمع إلى مجرد مجموعة الأفراد، فما دمنا قد رأينا أن صالح كل فرد على حدا ليست له أي صفة أخلاقية، فان مجموع تلك المصالح مهما عظم عددا لايمكن أن تكون له أي قيمة¹.

إن الناس لما كانوا يعيشون سويا بدلا من أن يعيشوا فرادى فان الضمائر الفردية يؤثر بعضها في بعض، ونتيجة للعلاقات التي تتصل على هذا النحو، تظهر أفكار ومشاعر لم تكن لتظهر مطلقا داخل نطاق الضمائر المتفرقة، وإنا لنعلم جميعا كيف تنور في جمع أو جمهرة من الناس عواطف وانفعالات قد تكون مختلفة كل الاختلاف عن تلك التي يستشعرها الأفراد المجتمعون ذاتهم... فالجماعات الإنسانية إذن طريقة في التفكير والشعور والحياة تختلف عن الطريقة الخاصة بأعضاء هذه الجماعات حين يفكرون ويشعرون ويعيشون متفرقين².

يؤكد " دوركايم" من خلال قاعدته الأخلاقية أن الأفعال التي لا يكون لها هدف سوى تحقيق الصالح الشخصي للأفراد، هي أفعال خالية من كل قيمة أخلاقية وهي تدخل في المشاعر اللاأخلاقية، كما أن هذه الأفعال لم تحملها الإنسانية لا في الحاضر أو في الماضي ،ومن هنا يتضح أن صالح الإنسان في تعلقه بمجتمعه. ويرى " دوركايم" إن المجتمع والفرد لا يتعارضان ألا تعارضا ظاهريا، وهو لا ينكر أن

¹ إميل دوركايم، التربية الأخلاقية ،ص65

² السيد محمد بدوي ، المرجع نفسه، ص211

الفصل الثاني أنموذج دوركايم

المجتمع والفرد كائنان لهما طبيعتان مختلفتان، ولكن بدلا من أن يرى بينهما تنافرا صريحا يعتقد على العكس أن الفرد لا يكتمل وجوده ولا تتحقق طبيعته تماما إلا إذا تعلق بالمجتمع¹.

و أثبت هذه الحقيقة بشكل واضح في دراسته عن " الانتحار " فحينما لا تكون للمجتمع القدرة الجاذبة للنفوس ، التي يجب أن تتوافر فيه عادة وحينما يتخلى المرء عن الغايات الجماعية ليضل يسعى وراء مصالحه الخاصة وحدها ، فعندئذ تنعكس هذه الحالة على صفحة الخط البياني الذي يوضح نسبة الانتحار ، وترتفع هذه النسبة ارتفاعا واضحا ، فالمرء يزداد تعرضا لخطر الانتحار كلما انفصمت العرى التي تربطه بالجماعة أيا كانت ، أي كلما أوغل في الحياة الأنانية².

يؤكد "دوركايم" من خلال دراسته لظاهرة الانتحار أنها تحدث نتيجة إبتعاد الفرد عن الجماعة ، وإنفراده لنفسه وأنانيته ورغبته في تحقيق مصالحه الخاصة لوحده ، ويحدث الانتحار كذلك نتيجة فشل المجتمع في استمالة الأفراد إليه ، أي لا يتوفر على القدرة الجاذبة للنفوس.

فالمجتمع ليس سلطة أخلاقية فحسب ، بل إن كل الدلائل تؤكد أن المجتمع هو النموذج و المصدر لكل سلطة أخلاقية ، ولاشك أنه ما يصادف هوى في نفوسنا أن نعتقد بأن هناك أفراد لا يدينون بنفوذهم وهيبتهم إلا لأنفسهم أو لسمو طبيعتهم ، ولكن لتتساءل : لأي شيء يدين هؤلاء الأفراد حقا بهذا النفوذ ؟ ألقوتهم الجسمية المفرطة ؟ إن تلك القوة الجسمية لا تضي عليهم أية سلطة أخلاقية ، لأن المجتمع اليوم يأبى أن يعترف بسيادة القوة الجسمية في المجال الأخلاقي³.

¹ السيد محمد بدوي ، الأخلاق بين الفلسفة و علم الاجتماع ، ص213

² السيد محمد بدوي ، المرجع نفسه ، ص213

³ إميل دوركايم ، التربية الأخلاقية ، ص88

الفصل الثاني أنموذج دوركايم

إن النظام الاجتماعي عند "دوركايم" يحول دون أن يفرض فرد ما سيطرته على فرد آخر سواء بقوته الجسمية، أو بذكائه الخارق أو حتى التفوق العلمي الهائل ، يقول "دوركايم": "إن جاليليو كان محروما من كل سلطة بإزاء المحكمة التي أدانته ، وأن أعظم عباقرة العلم لا يمكن أن يتوافر له أي نفوذ بين شعب لا يؤمن بالعلم"¹.

إن الفعل مهما كان نوعه وفائدته لا يمكن أن يكون أخلاقي ، إن لم يقر المجتمع أو الجماعة أو الشعب بأنه كذلك ، لأنه لا بد أن تكون أخلاق الفرد هي الأخلاق التي قد وضعها المجتمع أو تناقلتها الجماعة من جيل إلى جيل يقول "دوركايم" : "فلو تأملنا قواعد أخلاقية مثل "لا تقتل " أو "لا تسرق " وهي القواعد التي ظل الناس يتناقلونها من جيل إلى جيل - طوال قرون عديدة - لما وجدنا فيها أية صفة سحرية تفرض على الناس احترامها ، غير أن هناك من وراء هذه القواعد مشاعر جمعية ، وأحوال الرأي العام الذي لا يعبر إلا عنه، والذي تستمد قوتها منه ، إذ أن هذا الشعور الجمعي قوة"².

وبالنظر إلى عنصرا الحياة الأخلاقية نجد أن هناك ما يجمع بينهما يؤكد هذا "دوركايم" بقوله : "نرى أنهما ليسا في الواقع إلا وجهين لشيء واحد ، وأعني به المجتمع ، فما هو النظام في الواقع إن لم يكن المجتمع منظورا إليه من حيث هو التعلق بالجماعة ، لاهتدينا ثانية إلى المجتمع ، ولكن منظورا إليه هذه المرة على أنه شيء طيب مرغوب فيه ، وعلى أنه غاية تجذبنا ومثل أعلى نسعى إلى تحقيقه"³.

أي أن العنصر الأول يظهر فيه المجتمع كسلطة توجهنا وتملي علينا الأوامر وتفرض القوانين على الأفراد ، ومن واجبهم أن يخشعوا لها أو بعبارة أخرى عبادتها

¹ إميل دوركايم، المصدر نفسه ، ص 88

² إميل دوركايم، المصدر نفسه ، ص 89

³ إميل دوركايم، التربية الأخلاقية ، ص 90

2 إميل دوركايم، المصدر نفسه، ص 90

الفصل الثاني أنموذج دوركايم

كالدين تماما ، أما العنصر الثاني فهو يجعل من المجتمع الكل المتكامل الذي يأتي تحته كل الأفراد المكونين له ، ويعيشون تحت حمايته ورعايته ، وهو مصدر لكل ما هو عقلي أو أخلاقي عند الأفراد ، ومن هنا فإن ضمائر الأفراد تدفعهم إلى الاعتراف والامتثال إلى فضائل المجتمع عليهم ، ويضيف "دوركايم" أن المجتمع هو في إحدى الحالتين أشبه بإله صارم مرهوب الجانب ، ومشروع دقيق لا يسمح بأي خرق لأوامره ، وفي الأخرى أشبه بالإله المنقذ الذي يضحى المؤمن من أجله بقلب راض 2.

وفي الواقع أن كل الناس يميزون تمييزا يتفاوت في دقته ، بين عنصرين في الأخلاق ، يناظران تماما هذين العنصرين وهما الخير و الواجب ، فالواجب هو الأخلاق من حيث هي أمرة ونهاية ، هو الأخلاق الصارمة ذات الأوامر الجبرية وهو التعاليم التي يجب إطاعتها ، أما الخير فهو الأخلاق من حيث تبدو لنا شيئا طيبا ، ومثلا أعلى نحبه ونهفو إليه بحركة تلقائية للإرادة ، والحقيقة الحية التي يمكن أن نربط بها فكرة الواجب و الخير هي المجتمع "1.

يجسد المجتمع الواجب من خلال فرضه للقواعد و النظام و الحدود لتعديل الطبيعة البشرية للأفراد باعتبارها تميل للتمرد أحيانا، و يجسد المجتمع الخير من حيث أنه حقيقة كلية منزهة عن الأفراد بحيث إذا تعلقوا بها ينتج عن ذلك امتلاء للكيان الفردي.

العنصر الثالث : استقلال الإدارة

لقد صادفتنا في مواضيع عديدة من قبل أمثلة كثيرة للتعارض الوهمي بين مختلف عناصر الروح الأخلاقية : فرأينا تعارضا بين الخير و الواجب ، وبين الفرد و الجماعة ، وبين التحديد الذي تفرضه علينا القاعدة المنظمة ، والنمو الكامل للطبيعة البشرية ،

¹ السيد محمد بدوي ، الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، ص219

الفصل الثاني أنموذج دوركايم

وليس في كثرة أمثلة هذا التعارض ما يدعو إلى الدهشة؛ إذ أن الحقيقة الأخلاقية مركبة وموحدة في الوقت نفسه ، غير أن مصدر وحدتها هو وحده الكائن العيني الذي يتخذ أساسا لها ، والذي تعبر تلك الأخلاق عن طبيعته وأعني به المجتمع¹.

لقد بين دوركايم أن الأخلاق تحمل تعارضا من جهة أنها مفروضة على الفرد ، تفرض عليه من الخارج ، ومن جهة أنها لها تأثير أعلى كامن فيها ، ومستمد من تأثير حياة الجماعة .

وبصادفنا الآن تعارض جديد : فمن جهة نرى القواعد الأخلاقية تبدو بكل وضوح كشيء خارج عن الإرادة فهي ليست من صنعنا ، وبالتالي فنحن في امتثالنا لها نخضع لقانون لم نشرعه ، فنحن إذن نخضع لجبرية حقيقية وإن كانت هذه الجبرية خلقية ، ولكن من المؤكد من جهة أخرى أن الضمير يحتج على مثل هذا التقييد في حريته ، فالفعل في نظرنا لا يكون أخلاقيا بحق إلا إذا كنا قد أديناه بمحض إرادتنا².

إن العنصر الثالث للحياة الأخلاقية المتمثل في استقلال الإرادة ، يمثل الشخصية الإنسانية للفرد وحرية أيضا ، ويعطيه كذلك دورا في الحكم على السلوك إن كان أخلاقيا أم لا وذلك من خلال الضمير الذي هو مصدر لكل ما هو أخلاقي ، وهذا ما يدعو إلى احترام وتقديس الشخصية الإنسانية وعدم تهمةا .

ويؤكد "دوركايم" أننا من خلال العلم كذلك يمكننا أن نفعل أمورا سليمة ، دون أي ضغط أو إلزام حيث يقول : " مادام العلم يمكننا من أن نثبت عقليا ما يفترضه الإيمان أوليا (apriori) ، ولا شك أن خضوعا كهذا ليس استسلاما سلبيا بل هو موافقة مستتيرة ، فحين يقبل المرء نظاما معيناً للأشياء فلأنه على يقين من أنه كما يجب أن يكون ،

¹ إميل دوركايم، التربية الأخلاقية، ص108

² السيد محمد بدوي ، الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، ص222

الفصل الثاني أنموذج دوركايم

فليس في ذلك خضوع لأي ضغط ، وإنما يريد المرء ذلك النظام إرادة حرة ويقبله وهو عالم بسبب قبوله ¹.

إن الفرد يمكن أن يعبر عن إرادته الحرة من خلال العلم فهو السبيل إلى الإثبات العقلي للأمور التي يفرضها الإيمان ، وأي سلطة عليا في المجتمع ، والخضوع هنا لا يكون جبرا وإنما بمحض إرادة الأفراد، وعن قناعة تامة منهم بصحة ما يفعلون ، وإذا أراد الأفراد نظاما معيناً فبمحض إرادتهم وليس لأنهم جبروا على ذلك .

فالمرء حين يريد شيئاً باختياره ، فلا يمكن أن يريد شيئاً يراه غير معقول ، وإنما يريد ما هو معقول ، أي يريد أن يسلك وفقاً لطبيعة الأشياء ، حقا إنه قد يحدث أن تتحرف تلك الأشياء عن طبيعتها ، تحت تأثير ظروف عارضة شاذة ، ولكن عندئذ ينبهنا العلم إلى ذلك ، ويقدم إلينا في الوقت نفسه وسيلة تقويمها وتصحيحها ، إذ يعرفنا بهذه الطبيعة في حالتها السوية ، وبالأسباب التي أدت إلى هذا الانحراف الشاذ².

وهكذا يكون في وسعنا أن نفهم الأحكام الأخلاقية فهما كافيا ، وندرك العلم الذي يتحكم فيها ، و الوظائف الذي يؤديها كل منهما ، يكون في وسعنا أن لا نوافق عليها إلا عن علم وإدراك تام للسبب ، ولا شك أن قبولنا لها على هذا النحو لا يتضمن أي عنصر من عناصر الضغط ، ونحن لا ننكر أننا مازلنا أبعد عن ذلك المثال الأعلى في مجال حياتنا الأخلاقية ، بحثا في مجال حياتنا المادية إذ أن علم الأخلاق مازال حديث العهد .

وهكذا نصل إلى تحديد عنصر ثالث للحياة الأخلاقية : فليس يكفي بل لم يعد يكفي من أجل أن يكون سلوكنا أخلاقيا ، أن نحترم النظام ونتعلق بالجماعة ، بل لا بد أيضا أن يكون لدينا- في إطاعتنا للقاعدة وفي ولائنا لمثل جماعي أعلى- ، أوضح وأكمل

¹ إميل دوركايم، التربية الأخلاقية، ص112

² إميل دوركايم، التربية الأخلاقية، ص112

الفصل الثاني أنموذج دوركايم

إدراك ممكن لأسباب سلوكنا ، وهذا الإدراك هو الذي يضفي على أفعالنا ذلك الاستقلال الذي يتطلبه الشعور العام من كائن أخلاقي تماما ففي وسعنا إذن أن نقول أن العنصر الثالث للأخلاق هو حسن فهم الأخلاق¹.

ثانيا : الأساس الاجتماعي للحياة الأخلاقية :

¹ إميل دوركايم، التربية الأخلاقية ،ص116

الفصل الثاني أنموذج دوركايم

إن المجتمع حسب "دوركايم" يتكون من مجموعة من الأفراد ، تربطهم علاقات اجتماعية ويحكمهم نظام وقواعد أخلاقية ، لأن هذا ما تقوم عليه الحياة الاجتماعية عنده .

يقول : " المجتمع يقوم على دعامة من مجموعة من الأفراد ، يرتبطون فيما بينهم طبقا لنظام ينشأ عن إتحادهم ، ويتغير طبقا لتصرفهم في رقعة المكان وطبقا لما يتعلق بذلك من وسائل المواصلات واختلافها فيما بينها ، طبيعة وعددا ، فهذا هو الأساس الذي تقوم عليه الحياة الاجتماعية ، أما التصورات فهي لحمة هذا النسيج ، وهي إنما تتجم عن العلاقات التي تربط الأفراد بعضهم ببعض ، كما تتجم عن العلاقات التي تربط الجماعات الفرعية فيما بينها ، أي تلك الجماعات التي تقوم بين الفرد و المجتمع العام .¹

هذا يعني أن المجتمع مرتبط بالأفراد ارتباطا كليا ، ويؤثر فيهم تأثيرا مباشرا ، على تصرفاتهم و علاقاتهم ، وحتى على تصوراتهم التي يعتبرها "دوركايم" لحمة هذا النسيج ، أي المجتمع أساس لكل شيء ، بما له من سلطة موضوعية من خلال القواعد وفرض النظام وسلطة معنوية من خلال الضمير الجمعي الذي يمثل ضمائر الأفراد مجتمعة وهي انعكاس له أيضا ، ومن خلال الواجب والإلزام الخلقي كذلك الذي يضبط علاقة الفرد بمجتمعه ، أي أن الأساس السيسولوجي للحياة الأخلاقية عند "دوركايم" يتمثل في السلطة المعنوية للمجتمع وفي علاقة الفرد بالمجتمع .

1- السلطة المعنوية للمجتمع :

¹ إميل دوركايم، علم الاجتماع والفلسفة ،ص49

الفصل الثاني أنموذج دوركايم

لقد اتضح فيما سبق أن "دوركايم" قد أعطى للمجتمع السلطة الكاملة وهي التي تكون خارجة عن الفرد ولكنها تطبق عليه دون أي اعتراض منه لأنه ملزم باحترامها وتطبيقها ، وهذا هو الجانب الموضوعي أو الواقعي، إلا أنه أكد بأنه توجد سلطة معنوية للمجتمع كذلك ، وذلك من أجل أن يحترمها الفرد ليس مجبراً وإنما رغبة منه لذلك ، وحباً لفعله ، وتتمثل السلطة المعنوية للمجتمع في الضمير أو الضمير الجمعي أو الوعي الجمعي كما اصطلح عليه "دوركايم" .

ويقصد بالوعي الجماعي ، مجمل التصورات و العواطف المشتركة بين الأفراد ومختلفة عن التطورات الفردية المتعلقة بالفرد ذاته .

ويستخدم مصطلح رابطة الأفراد بالتبادل مع مصطلح المجتمع بنفس المعنى لذلك يقول: "ما إن تنشأ رابطة بين العناصر فإنها تتسبب في ولادة ظواهر لا تتبع مباشرة من طبيعة العناصر المترابطة ، ويقول بوجود كائن أخلاقي واحد ، يشكله الأفراد بترابطهم وهو المجتمع، الذي يظل خارج الفرد ، ويقول في موضع آخر بأن كل مجموعة من الأفراد حال تواصلهم معا باستمرار يشكلون مجتمعا بعينه¹."

ويضيف "دوركايم" : "إننا ندين للمجتمع بما نملك من سلطان على الأشياء هذا السلطان الذي يسهم في تكوين عظمتنا ، فالمجتمع هو الذي حررنا من الطبيعة ؛ أفليس حقا مادام الأمر كذلك ، أن نتصوره وجودا نفسيا ممتازا بالنسبة لوجودنا النفسي ، من حيث أن وجودنا صادر عن ذلك الوجود وناجم عنه ؟ وبناءا على هذا الوضع ، ندعن للمجتمع ونطيعه ، عندما يطلب إلينا ، طاعة ملؤها الرعاية و الاحترام² ."

¹ جنيفر-م- ليومان، تفكيك دوركايم ، نقد ما بعد بنيوي : ترجمة محمود أحمد عبد الله ، ط1، المركز القومي للترجمة ،

القاهرة ، 2013 م ، ص65

² إميل دوركايم ، علم الاجتماع والفلسفة ، ص129

الفصل الثاني أنموذج دوركايم

ويرى أيضا بان المجتمع قد حرر الأفراد من سلطة الطبيعة عليهم ، أي المجتمع
حقوق لهم وجودهم النفسي ، لذا وجب عليهم رعايته وطاعته واحترامه ، كما عليهم أن
يحملوا في نفوسهم تقديرا عظيما للمجتمع .

والسلطة المعنوية للمجتمع تأتي إليه من دوره كمشرع أخلاقي، والمعروف أن المجتمع
يقوم بهذا الدور التشريعي لأنه مزود بسلطة معنوية مدعمة تدعينا كبيرا، الأمر الواضح كل
الوضوح على أن كلمة السلطة المعنوية هي نفسها تعارض كلمة السلطة المادية، فالسلطة
المعنوية واقع نفسي أي أنها شعور ولكنه شعور أعلى وأكثر ثراء وشعور كل منا إنما يعتمد
على هذا الشعور¹.

إن نفسية الجماعة من نفس طبيعة الفرد لكن لها طبقة أساسية مختلفة، وهي المجتمع،
وكل العقول التي تحويها، ولذلك نضام مختلف، ولا يمكن اختزالها إلى عقول فردية تشكله
مثل الجسد الاجتماعي الذي لا يمكن أن يختزل إلى الأفراد، ومن الأفعال وردود الفعل
الكائنة ما بين أفراد المجتمع تتبع حياة ذهنية جديدة تماما، أي أن العقول الفردية لا تكون
منعزلة وإنما تدخل في علاقة مباشرة مع غيرها وتؤثر فيها².

إن نفسية الجماعة انعكاس لنفوس الأفراد، ومن جهة هي مرتبطة بالمجتمع ولا يمكن
اختزالها في الأفراد منفصلة عنهم، نشأت عن العلاقة التي تجمع بين نفوس جميع الأفراد
وهي علاقة تأثر وتأثير أدت إلى ظهور حياة نفسية جديدة .

والوعي الجمعي هو ذروة الحياة النفسية ،لذا فهو وعي لكل وعي، و إذا كانت الحياة
الممثلة للفرد تتسم بالروحانية فان الشكل الاجتماعي لها نو روحانية فائقة... وكل

¹ إميل دوركايم، المصدر نفسه، ص129

² جنيفر-م- ليتمان، تفكيك دوركايم ، ص ص67-68

الفصل الثاني أنموذج دوركايم

الخصائص المكونة للحياة الذهنية كائنة فيه، لكنها متطورة إلى درجة ذات قوة فائقة ولذا فهي تتسبب في قيام شيء جديد كل الجدة¹.

إن الوعي الجمعي يمثل الجانب النفسي لحياة الأفراد، ويتسم بالروحانية إلا أن الشكل الاجتماعي الكلي للحياة النفسية يمتاز بروحانية فائقة لأنه يجدد حياة الأفراد دائما وبحركها.

ولقد اعتبر "دوركايم" المجتمع كائن أسمى يشبه الإله تماما، هو كيان مستقل عن أجزائه وهم الأفراد يمارس السلطة عليهم، كما أنه المرجعية الأساسية لأخلاقهم، ومن هذا المنطلق يرى أن المجتمع هو من يصنع الإنسان المثالي، لأنه من يحدد الصور المثالية التي يجب أن يكون عليها أفرادها.

يقول "دوركايم": "إن المهمة الرئيسية للمجتمع في كونه أولا : تعبيرا عن ذواتنا الجمعية وعلى هذا الأساس يحدد لنا الغايات التي يجب أن نسعى إلى تحقيقها، ويوازن بين مصالحنا الذاتية ومصالحنا الجماعية، فالمجتمع الذي يسحبنا خارج ذواتنا، ويكرهنا على الموازنة في غرائزنا، وأن نخضعها للقانون وأن نوجه أنفسنا وندربها على الحرمان، وعلى التضحية بالذات وان نخضع مآربنا الشخصية لغايات اجتماعية أكثر سموا².

ويري دوركايم أن العقل الجمعي أهم جانب من جوانب المجتمع، ويتحدث عنه في الآن ذاته وكأنه المجتمع، وكأنه هو بالأساس ظاهرة أو وحدة فكرية هذا التوجه يبدو أحيانا في تصوير المجتمع بوصفه مجموعة من الأفكار، لذلك يعرف المجتمع بوصفه مركبا من الأفكار والمعتقدات والمشاعر بشتى صورها وأهم هذه الأفكار هي المثاليات الأخلاقية

¹ جنيفر-م- ليمان ، تفكيك دوركايم ، ص68

² إميل دوركايم ، التربية الأخلاقية ، ص72

الفصل الثاني أنموذج دوركايم

التي تعتبر علة وجوده الأساسية ، كما أن الظواهر الاجتماعية الكبرى من دين وأخلاق وقانون واقتصاد وجماليات ليست سوى أنساق قيم ومن ثم فهي أنساق مثاليات¹.

إن الضمير الجمعي عند "دوركايم" له وجوه عديدة فهو يسمى بالوعي الشعبي أو الضمير الأخلاقي للشعوب ، والعقل العام والحياة النفسية للمجتمع ، والوعي العام وذهنية الجماعات ، وكذلك ما يسميه بالضمير الجمعي ويطلق عليه كذلك الوعي الجمعي أو الوعي الجماعي والعقل الجمعي لأنه ينشأ حسب اعتقاده من الجسد الجمعي وعناصره المكونة له هي العقول الفردية عن طريق ترابطها معا .

أما الأمر فيما يتعلق بعقل الفرد ، فهو أن هذا العقل ليست له ميزات خاصة ، من حيث هو كذلك عقل الفرد ؛ سواء أكان ذلك في مجال الخلاق ، أم كان في مجال آخر ، من مجالات الطبيعة ، أما العقل الوحيد الذي نستطيع أن نطالب ، مطالب مشروعة ، بحق التدخل في شأنه ، انتقاء النهوض به ، ونطالب بوضعه فوق الواقع الأخلاقي التاريخي ، هذا العقل هو العقل الإنساني ، اللاشخصي ، الذي لا يتحقق بالفعل ، إلا في العلم لأن العلم بالوقائع الأخلاقية ، يسمح لنا بتعديل مجرى الحياة الأخلاقية وتهذيبه وتوجيهه².

إن العقل الفردي هنا ليس له أي أهمية أو فاعلية في الواقع الأخلاقي ، وإنما العقل الإنساني الذي هو العقل الجمعي ، اللاشخصي أي هو موضوعي هو الذي يجب إتباعه من أجل النهوض وتحريك الحياة الأخلاقية .

والوعي الجمعي للمجتمع هو الذي يهيمن أو يحدد حدود الأفراد ، والوعي الجمعي مكون من أشكال وعي فردية ، غير انه ما إن يتشكل حتى يتجاوزها ويهيمن عليها ، وبها يوجه سلوك الفرد ، إن هذا إلا آلية الحتمية الاجتماعية عند "دوركايم" بفحواها أو بمعناها ، فوعي

¹ جنيفر-م- ليمان ، تفكيك دوركايم ، ص 69

² إميل دوركايم ، علم الاجتماع والفلسفة ، ص 115

الفصل الثاني أنموذج دوركايم

الجماعة يفرض موانع اجتماعية ضاغطة على أشكال وعي أعضائها ، إذ للمجتمع هيمنة أخلاقية على أعضائه ، وهي سلطة تتكئ على قوة كائن أخلاقي¹.

إن الوعي الجمعي أو الضمير الجمعي يعمل من خلال وعي و ضمير الأفراد الفردي كما أنه يؤثر في إرادة الفرد ، لأن الأفكار والمشاعر الجماعية هي قوى أخلاقية تسيطر على الفرد و تسيره ، أي أن الأفراد تحرك إرادتهم تلك المثاليات التي يعني بها "دوركايم" كل ما هو فكري وأخلاقي ، هي لا تتبع من داخل الأفراد وإنما مفروضة عليهم من الخارج ، لأن المثاليات تمتاز بطبيعتها و واقعها الخاص ، و راقية على إرادة الأفراد الذين تحركهم .

ومن هنا نخلص أن السلطة المعنوية للمجتمع ، والمتمثلة في الضمير الجمعي ، لها دورها في تكوين الأخلاق باعتبارها تمثل الصبغة الاجتماعية للأخلاق ، كما نخلص أن الضمير الجمعي يتكون من مجمل الأفكار والعواطف والمعتقدات الموجودة في الضمائر الفردية ، لذلك أكد "دوركايم" على وجود ترابط أو علاقة تأثر و تأثير متبادلة بين الضمير الجمعي والأفكار الاجتماعية في الواقع الاجتماعي نتيجة الضغوط التي يمارسها الضمير الجمعي على الضمائر الفردية.

2. الفرد والمجتمع :

بما أن المجتمع هو الكيان الكلي الذي يتكون من الأفراد الذين يمثلون أجزاءه، فهذا يعني أن المجتمع هو الأساس أو المرجعية أو المصدر لكل المقومات الأساسية التي تقوم عليها حياة الأفراد بما فيها الجانب الأخلاقي أو القيمي الذي هو جزء من الحياة الاجتماعية ككل ، إلا أنه توجد حقيقة لا يمكن إنكارها وهي أن الفرد عبارة عن ثنائية أي مكون من جسد و روح، وهو بطبيعة الحال لا يخلو من النزعة الفردية أو الفردانية، فكيف له أن ينصهر داخل الجماعة ويسير وفق السلطة الشمولية والكلية التي يفرضها المجتمع على

¹ جنيفر-م- ليمنان، تفكيك دوركايم ، ص71

الفصل الثاني أنموذج دوركايم

الأفراد؟ وكيف يمكن أن يوصف الفرد بأنه واقعة اجتماعية؟ يرى "دوركايم" أن المجتمع الحديث عبارة عن ثلاث وحدات مختلفة ومستقلة نسبياً، الكائن الاجتماعي أي المجتمع؛ والأعضاء الاجتماعية، أي المهن، و الخلايا الاجتماعية، أي الأفراد، و بحسب ذلك يعبر مفهوم الفرد على شيء أكبر من الجسد، أي أكبر من العنصر البدني في ثنائية بعينها للطبيعة البشرية وبذلك للفرد عقل، وهنا لا تعتبر ثنائية الطبيعة البشرية هي ثنائية العقل مقابل الجسد التي بموجبها يعطي الفرد الجسد، ويعطي المجتمع العقل، لكنها الوعي البشري¹.

ينظر "دوركايم" للفرد على انه عبارة عن جسد لأنه جزء من التركيب العضوي للمجتمع، وبما أن الظواهر الاجتماعية كذلك بتجسدها في أجساد الأفراد تطبع بالطابع الفردي هذا من جهة، ومن جهة أخرى يراه عبارة عن عقل لأن له شخصيته الفردية التي تتميز بها عن غيره من أفراد المجتمع.

ويرى "دوركايم" أيضاً أن الفرد بالمعنى الواقعي للكلمة حر ومستقل، ولذلك قد تأثر بالقوى الاجتماعية، لكنه ذاتي التصرف بشكل مطلق، وفي المقام الأول يقوم المجتمع بتحرير الفرد من الطبيعة ولكنه يقوم بذلك دون أن يجعل الفرد معتمداً على نفسه فحسب، فمثلاً تعتبر مسألة الوراثة أكثر صعوبة من المعتقدات و الممارسات العامة، لأن الأخيرة مفروضة على الفرد من خارجه ومن الفعل الأخلاقي، والتقليد رابطة اقل شدة من الوراثة التي

¹ جنيفر-م- ليمان، تفكيك دوركايم، ص158

الفصل الثاني أنموذج دوركايم

تحدد سلفا الفكر والسلوك على نحو اقل صرامة وتحديد، وعلى عكس المجتمع الذي يترك مجالاً واسعاً للتباينات الفردية¹.

بهذا المعنى فان "دوركايم" يرى بأن الفرد حر ومستقل في الواقع، لأنه قد تحرر من سيطرة الطبيعة عندما تشكل المجتمع، وأصبح معتمداً على نفسه، وأما التقييد فهو تقييد معنوي يتمثل في الفعل الأخلاقي، و الأمور الوراثية التي تحدد الفكر والسلوك ولا تضع اعتباراً للتباينات الفردية على عكس المجتمع .

إن "دوركايم" يؤمن بالحرية الفردية التي يعتمدها على الفكر والسلوك حيث يوجد لديه مجالاً لحرية الفعل أمام كل فرد، فليس الفرد مستوعباً بالكلية في الجماعة بل لديه مجال عمل يخصه، وإن كانت بعض الأعمال مفروضة عليه من الرأي العام وأخرى متروكة للمبادرة الشخصية، إذن أولاً يوجد إمكانية وجود سلوك أناني لا اجتماعي أو ضد اجتماعي، أي سلوك فردي خالص محكوم بالمشاعر وتصورات شخصية بشكل عام ... وبذلك يكون كل فرد مصدر النشاط التلقائي، ويضحى محور العمل الحر أنه مسؤول عن تصرفاته².

لقد أخذ "دوركايم" بعين الاعتبار إمكانية وجود سلوك أناني من قبل الفرد من خلال قيامه بعمله بطريقة الخاصة، وفق ما يرغب به هو، تحت إطار ممارسة الحرية الفردية داخل المجتمع، إلا أن هذه الممارسة الفردية التلقائية تجعله مسؤولاً عن تصرفاته أمام الرأي العام .

¹ جنيفر-م- ليمن، تفكيك دوركايم، ص 160

² جنيفر-م- ليمن، تفكيك دوركايم، ص 161

الفصل الثاني أنموذج دوركايم

ومن خلال نظرة "دوركايم" إلى الفرد يظهر بوضوح أن الفرد ليس مجرد وعاء فارغ يملؤه المجتمع، و الوعي الفردي عنده يحتوي على مضمون فردي، فالفرد عبارة عن وحدة فكرية و أخلاقية، وحدة لها جوهرها الفكري و الأخلاقي ،انه كائن مستقل فهو إلى حد ما يؤهل ذاته ويمتحنها و يقرر مصيره فكرا وسلوكا¹.

لقد أكد "دوركايم" فيما سبق بأن المجتمع قد خلص الفرد من سيطرة الطبيعة عليه، فأصبح كيانا مستقلا بذاته من خلال فكره وسلوكه، أي أن الوعي الفردي أصبح متحررا من كل القيود والممارسات المفروضة عنه، إلا انه يبقى مسؤولا أمام الجماعة و الرأي العام عن تصرفاته وذلك من خلال الضمير الفردي الذي يحول دون أي تجاوزات تمس المجتمع أو تخدش القاعدة الأخلاقية، لأن الفرد مهما تمتع بحريته فانه يظل جزء من الكيان الكلي الذي هو المجتمع، و يبقى الوعي الفردي جزء من الوعي الجمعي أي أن الفرد يبقى مفيدا تقييدا معنويا مهما كان له الحق في التمتع بالحرية .

¹ جنيفر-م- ليتمان، تفكيك دوركايم ، ص174

الفصل الثاني أنموذج دوركايم

المبحث الثالث : نقد مذهبه الأخلاقي:

لقد تعرض "دوركايم" كغيره من الفلاسفة الوضعيين أو أنصار المذهب الوضعي أو الاجتماعي في الأخلاق إلى جملة من الانتقادات حول مذهبه الأخلاقي، وكونه قد زعم بأنه يفضي الخلاف الذي وقع بين الفلاسفة الحسيين و الفلاسفة العقليين، أي بين العقل و الحواس، وقال بأن مصدر المعاني والمبادئ و الأفكار مصنوعة من المجتمع و غريزية في الأفراد.

وأبرز نقطة تعرض للنقد فيها هي جعل المجتمع المصدر الوحيد والأساسي للأخلاق، وهو الأساس المحرك للحياة الأخلاقية، مع أننا نعلم بأنه توجد مصادر أساسية أخرى لها دور كبير في تكوين القيم الخلقية لدى الأفراد أبرزها العقل الإنساني الذي يعتبر ملكة يمتاز بها الناس جميعاً، وتمكنهم من فعل الصواب وتدارك الخطأ من خلال القدرة في التمييز بين الخير والشر، كما أن الدين كذلك يحمل في تعاليمه وأوامره ونواهيها جملة من القواعد الأخلاقية من شأنها أن تحكم السلوك الإنساني وتسيره.

كما أنه قد ربط الأخلاق بالاختلاف والتغير وكلما تطور المجتمع وتجدد تتغير الأخلاق معه، وتختلف باختلاف الزمان والمكان، وهذا يعارض بعض القيم الأخلاقية التي تتسم

الفصل الثاني أنموذج دوركايم

بالثبات و المطلقة وهي نفسها عند جميع الناس كفكرة الخير مثلا هي نفسها منذ العصور القديمة حتى العصر الحالي وكذلك فكرة الشر .

وعلى الرغم من أن "دوركايم" أراد الحفاظ على الصبغة المعنوية للأخلاق، إلا أنه ربطها بالعلم ،وقال بأنها قابلة للدراسة باعتبارها ظاهرة اجتماعية كغيرها من الظواهر القابلة للدراسة و الملاحظة و التجربة متجاهلا في ذلك أن الأخلاق مبادئ فطرية في الإنسان يولد وهو مزود بها .

حقا إن "دوركايم" لا يدعونا إلى التخلي عن نواتنا ، من اجل الاندماج في حقيقة إلهية متعالية، ولكنه يدعونا إلى التمسك بنظام من القيم المحددة من ذي قبل فضلا عن انه يجعل من المجتمع حقيقة متعالية ، ليس على الفرد سوى التمسك بها أو التطلع إليها و التسامي نحوها، وسواء قلنا بمذهب أخلاقي يعتمد على العقل، أو قلنا بمذهب أخلاقي يعتمد على المجتمع ،فإننا في كلتا الحالتين ننادي بأخلاق مجردة ترد الجانب الشخصي في الحياة الخلقية إلى ضمير الغائب¹.

لقد ربط "دوركايم" الأخلاق بصفة العموم و الشمولية مهملا في ذلك الجانب الشخصي لحياة الإنسان، وميوله ورغباته الفردية، أي على الفرد أن يقبل القيم الأخلاقية المفروضة عنه من قبل المجتمع حتى وان كان ذلك على حساب إنسانيته .

¹ زكرياء إبراهيم ، مشكلة الفلسفة ، ط3، مكتبة مصر ، 1967م، ص162

الفصل الثاني أنموذج دوركايم

والسلوك الخلقى؛ عند المفكرين الاجتماعيين إنما هو مجرد تنازل عن الذات، واتجاه نحو النظام وكأن ثمة نسقا جاهزا من القيم يتكفل بحل كل المشاكل التي قد تثور في باطن الموجود البشري، وهكذا تصبح مهمة الإنسان أن يندمج في هذا النظام العقلي، سواء أكان هو المجتمع، أم التاريخ، أم العقل الجمعي، لكي يتمتع بالطمأنينة النفسية و التكامل الروحي¹.

نحن نعلم أن المجتمع يتكون من الأفراد،الذين هم أجزاءه أي تجمع الأفراد و اثر هذا الاجتماع ولد ما يسمى بالمجتمع،وعلى إثره أيضا اتفق الأفراد فيما بينهم على نظام وقانون معين يحكمهم، ولكي يضمن لكل فرد حقوقه، إلا أن السلوك الأخلاقي للأفراد من منظور المفكرين الاجتماعيين بما فيهم "دوركايم" هو تنازل عن كل الحقوق الشخصية وتنازل عن الذات في سبيل حفظ النظام، فكيف يمكن للأفراد القبول بهذا النظام إذا كان على حساب حريتهم الشخصية؟ وكيف لهم أن ينعموا بالطمأنينة النفسية في ظل الاضطهاد وكبح الحريات؟ .

وعيب على "دوركايم" أحيانا أنه ينزع من الفرد كل رغبه في الطموح،ولكننا رأيناه يقرر على العكس من ذلك أنه لا بد للفرد من أن يعلو على نفسه، مدفوعا إلى ذلك بقوة المثل

¹ زكرياء إبراهيم،مشكلة الفلسفة،ص162

الفصل الثاني أنموذج دوركايم

العليا الجمعية التي تضطره إلى أن ينسى نفسه، ويتجرد من مصالحه وشواغله، لكي يمضي نحو تحقيق الغايات المشتركة بروح النزاهة و الإخلاص¹.

يمكن للفرد أن يسعى وراء تحقيق طموحه ويعلو بنفسه، لكن يجب أن يكون مدفوعا بقوة المثل العليا الجمعية، وهذا تنازل عن الذات بطريقة غير مباشرة، لأنه في تتبعه للمثل العليا الجمعية يضطر إلى أن يمهل نفسه، ومصالحه ورغباته، كما أن الفرد لا يمكن أن يتخلص من فردانيته و أنانيته أحيانا بدافع النزاهة و الإخلاص .

وذهب خصوم المذهب الاجتماعي إلى القول بأنه: ليس ثمة شيء يمكن أن يسمح لنا بأن نقرر أن كل ما يتطلبه المجتمع من الفرد لا بد أن يكون حسنا، فإن مثل هذا القول لا يصدق حتى على الغرائز التي جادت بها علينا الطبيعة، و كما أن الرأي الذائع بين الناس لا يمكن أن يكون دائما هو الحقيقة بعينها، فليس هناك ما يمنع من أن تكون القاعدة الأخلاقية فاسدة، حتى ولو كانت مبدأ عاما تعتنقه الجماعة بأسرها².

وكما أن أصحاب الأخلاق الدينية يحاولون أن يظهروا للموجود البشري على أن ثمة حقيقة إلهية متعالية، تضمن له سلامة التفكير و السلوك ، نجد أصحاب الأخلاق الاجتماعية يحاولون أن يوفروا على الإنسان كل استعمال شاق للإرادة أو القدرة على المبادأة

¹ السيد محمد بدوي، الأخلاق بين الفلسفة و علم الاجتماع، ص 228

² السيد محمد بدوي، الأخلاق بين الفلسفة و علم الاجتماع، ص 228

الفصل الثاني أنموذج دوركايم

intiative لكي يهييوا به أن يلائم بين سلوكه وما تقضي به أوامر الجماعة وفات هؤلاء و أولئك أن إنكار حق الشخص البشري في التصميم و التقرير الحر، إن هو إلا إنكار للأخلاق نفسها¹.

¹ زكرياء إبراهيم ، مشكلة الفلسفة، ص162

الفصل الثاني أنموذج دوركايم

خاتمة

-الخاتمة-

من خلال ما عرض سابقا حول الأخلاق عند الفلاسفة الوضعية، وعند "إميل دوركايم"، توصلت إلى مجموعة من النتائج تمثلت في :

■ إن الفلسفة الوضعية تدعو إلى أن يكون التفكير الإنساني تفكيرا وضعيا في كل جوانب الحياة ، لأنها تعتقد بأن العلم وحده الذي يجب أن تكون له السيادة في عصر التقدم العلمي؛ لأنه هو الذي سيقود الإنسانية إلى التقدم و الرفاهية و الاستقرار .

■ إن الأخلاق عند الفلاسفة الوضعية هي ظواهر اجتماعية تثبت في المجتمعات بفعل تعامل الأفراد وعلاقاتهم بعضهم ببعض، وهي لا تربط الأخلاق بكل ما هو ديني، أو ميتافيزيقي، أو لاهوتي، وإنما تعترف بكل ما هو واقعي تجريبي فحسب .

■ الأخلاق الوضعية هي أخلاق نسبية، تتغير من عصر لآخر، ومن مجتمع لآخر وليست عبارة عن قيم ومبادئ ثابتة تضبط السلوك الإنساني، وإنما هي عبارة عن مجموعة من المعطيات تثبت صحتها من خلال التجريب عليها، ثم تطبق في المجتمع و يتبعها أفرادها طالما هي صالحة لهم.

- و لقد حمل مذهب "دوركايم" الأخلاقي مجموعة من المبادئ التنويرية من شأنها أن تجعل الإنسان كائن أخلاقي، وتحافظ على إنسانيته أيضا لأنها تحاكي ضميره وتعزز علاقته بغيره من الأفراد داخل المجتمع الواحد.
- "إميل دوركايم" في إقامته للمذهب الأخلاقي الاجتماعي جعل القيم الأخلاقية و مثلها العليا كالظواهر الاجتماعية ، فهي وليدة المجتمع وناشئة عن اجتماع البشر، وانعكاس للظواهر الاجتماعية التي تحدث داخل المجتمع الواحد، ودور علم الأخلاق هو دراستها كما هي كائنة بالفعل ومرتبطة بمكان وزمان معينين وليس كما يجب أن تكون .

قائمة المصادر

و المراجع

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1-المصادر :

(1) إميل دوركايم ،التربية الأخلاقية:ترجمة السيد محمد بدوي ،ط1،المركز القومي للترجمة ،القاهرة ،2015م.

(2) إميل دوركايم ،قواعد المنهج في علم الاجتماع :ترجمة محمود قاسم،دار المعارف الجامعية، الإسكندرية ،1988م.

(3) إميل دوركايم ،علم الاجتماع و الفلسفة :ترجمة حسن أنيس ،ط1،مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة ،1966م.

2-المراجع :

(1) احمد ملاح ،تاريخ الفلسفة الغربية من طاليس إلى باشلار ،ط1،رياض العلوم للنشر و التوزيع،الجزائر ،2006م.

(2) إميل بوترو،العلم و الدين في الفلسفة المعاصرة: ترجمة احمد فؤاد الأهواني ،(د.ط) الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1973م

(3) إميل برهيه،تاريخ الفلسفة الحديثة ،ج7 :ترجمة جورج طرابيش ،دار الطباعة للنشر و التوزيع ، بيروت،1985م.

(4) السيد محمد بدوي ، الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع،(د.ط) دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية،2000م.

قائمة المصادر و المراجع

- (5) الحسن إحسان محمد، المدخل إلى علم الاجتماع ،(د،ط)، دار وائل للنشر و التوزيع، عمان، 2006م.
- (6) جنيفر م. أليمان، تفكيك دوركايم، نقد ما بعد بنيوي: ترجمة محمود احمد عبد الله ، ط1، المركز القومي للترجمة ، القاهرة، 2013م.
- (7) جاستون بوتول، تاريخ علم الاجتماع : ترجمة غنيم عبدون،(د.ط) ، مطابع الدار القومية للطباعة و النشر ،(د.ت).
- (8) جان ميشال برتلو، بناء علم الاجتماع : ترجمة جورجيت الحداد ، ط1، عويدات للنشر و الطباعة، لبنان، 1999م.
- (9) ج بينروبي، مصادر وتيارات الفلسفة في فرنسا : ترجمة عبد الرحمن بدوي، ج1،(د.ت).
- (10) فاروق عبد المعطي ، أوجست كونت، مؤسس علم الاجتماع الحديث، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1993م.
- (11) قباري محمد إسماعيل ، علم الاجتماع و الفلسفة، ط1، دار المعرفة الجامعية ، 1989م.
- (12) عادل العوا ، العمدة في فلسفة القيم ، ط1، دار طلاس، دمشق، 1986م.
- (13) عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع ،(د.ط)، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب ، 1981م.

قائمة المصادر و المراجع

14) زكرياء إبراهيم، المشكلة الخلقية ،ط1،دار مصر للطباعة ،مصر
،1969م.

15) زكرياء إبراهيم، مشكلة الفلسفة،ط3،مكتبة مصر ، مصر ،1967م.

16) مصطفى حلمي،الأخلاق بين الفلاسفة و علماء الاجتماع،ط1، دار
الكتب العلمية ، لبنان،2004م.

17) نيقولا تماشيب ، نظرية علم الاجتماع :ترجمة محمود عودة ،دار
المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،1990م.

18) وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديث: ترجمة محمود سيد احمد
،ط1،التتوير للطباعة و النشر و التوزيع ،لبنان،2010م.

19) وليام ليلي،مقدمة في علم الأخلاق :ترجمة عبد المعطي محمد ،
منشأة المعارف ،الإسكندرية،2000م.

20) يوسف كرم،تاريخ الفلسفة الحديثة ،(د.ط)، دار المعارف،القاهرة
،(د.ت).

3-المعاجم:

1) جورج طرابيش،معجم الفلاسفة،ط1،دار الطليعة،بيروت ،2006م.

2) جميل صليبا، المعجم الفلسفي،(د.ط)، دار الكتاب اللبناني ،بيروت
،1982م.

قائمة المصادر و المراجع

4- الرسائل الجامعية:

(1) الطاهر مولف،العقل الوضعي عند أوجست كونت(مذكرة لنيل درجة

الماجستير في الفلسفة)، منشورة، قسم الفلسفة، جامعة منتوري

،قسنطينة،2008م.

(2) عائشة علي روزي،الأخلاق عند المدرسة الوضعية (أوجست كونت

ومدرسته)، (رسالة لنيل درجة الماجستير)، منشورة ، جامعة أم القرى،

المملكة العربية السعودية ،1412هـ.

فهرس

الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
أ - ت	المقدمة
الفصل الأول: الأخلاق في الفلسفة الوضعية	
5	المبحث الأول: الفلسفة الوضعية
5	أولاً: مفهومها وميزاتها
12	ثانياً: أسباب ظهورها
17	المبحث الثاني: الأخلاق الوضعية
17	أولاً: مفهومها
21	ثانياً: أبرز سمات الأخلاق الوضعية
26	المبحث الثالث: أقطاب الفلسفة الوضعية
26	أولاً: أوجست كونت
30	ليفي برول
الفصل الثاني: أنموذج دوركايم	
36	المبحث الأول: مدخل عام
36	أولاً: لمحة عن إيميل دوركايم
39	ثانياً: الظاهرة الاجتماعية

42	المبحث الثاني: مذهب الأخلاقي
42	أولاً: عناصر الحياة الأخلاقية
59	ثانياً: الأساس الاجتماعي للحياة الأخلاقية
67	المبحث الثالث: نقد مذهب الأخلاقي
72	الخاتمة
75	قائمة المصادر والمراجع
77	فهرس الموضوعات